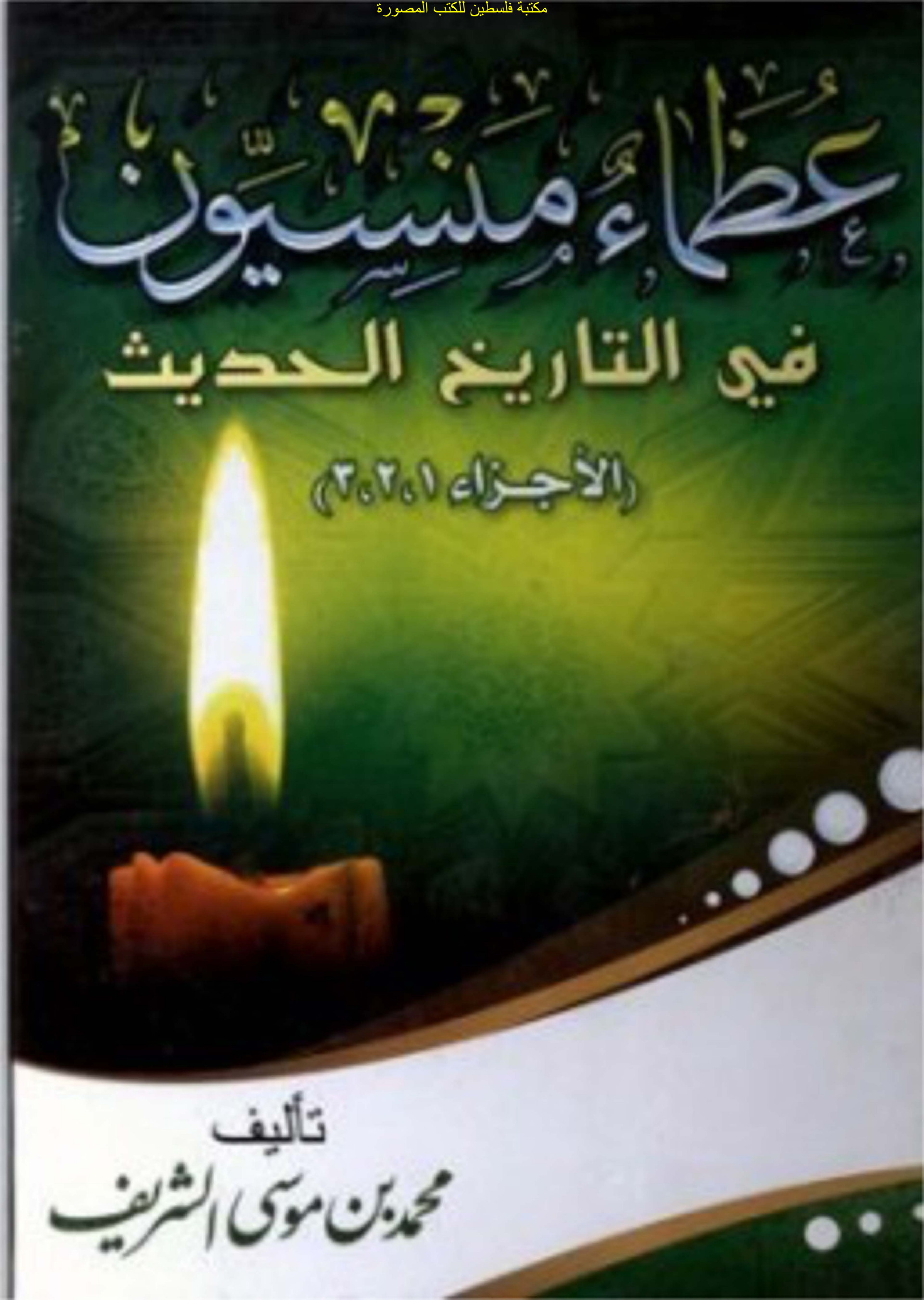


عظماء منسيون
في التاريخ الحديث
(الأجزاء ١، ٢، ٣)
تأليف
محمد بن موسى الشريف

عظماء منسيون في التاريخ الحديث

(الجزء الثالث)

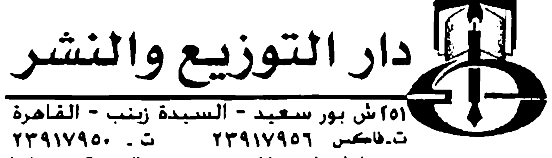


د. محمد بن موسى الشريف

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الايداع
٢٠١١/١٥٩٢٠
الترقيم الدولى .I.S.B.N
978-977-265-858-5



٥١ ش بور سعيد - السيدة زينب - القاهرة
ت.فاكس ٢٣٩١٧٩٥٦ ت - ٢٣٩١٧٩٥٠
d.eltwzea@gmail.com www.eldaawabookshop.com



• مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا -ولله الحمد والمنة- هو الجزء الثالث من هذا الكتاب «عظماء منسيون» وهم الذين نساهم الناس -على جليل أعمالهم وعظيم أفعالهم- وطواهم النسيان فلم يعد أكثر الناس يسمع باسمهم أو يطلع على سيرتهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا وقد ذكرت فى الجزء الأول من هذه السلسلة منهجى فى اختيار هؤلاء العظماء وكتابة سيرهم فلا أعود لهذا الآن، وإنما أنبِّه إلى شىء مهم ألا وهو أن أصل هذه التراجم قد نشر فى مجلة المجتمع، ثم روجع وأضيف إلى بعضه شىء كثير أو قليل، وعُدِّل بعضه بعض التعديل اليسير، وبقى شىء منها كما نُشر فى تلك المجلة الغرّاء، وهو قليل.

هذا وأرجو أن يكتب الله على يدىّ شرف إحياء ما نُسى من هذه التراجم، وما طوى من المفاخر والمكارم، وأرجو من الله تعالى أن يثيب هؤلاء بقدر ما نساهم أهل الأرض، وأن يرحمنا وإياهم يوم العَرْض، إنه ولى ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد بن موسى الشريف

mmalshreef@gmail.com

www.altareekh.com

السلسلة الثالثة

١- «الداعية الرُّحَلَة»: تقى الدين الهلالى.

٢- «الشيخ القوى»: محمد الحامد.

٣- «رائد التجديد الشامى»: طاهر الجزائرى.

٤- «العالم المجاهد»: عمر مكرم.

٥- «العالم الثائر»: عبدالرحمن الإفريقى.

٦- «شيخ الأزهر التونسى»: محمد الخضر حسين.

٧- «العالم السياسى»: الحاج محمد أمين الحسينى.

٨- «إمام أهل السنة»: محمود عبدالوهاب فايد.

[١]

الداعية الرَّحالة

تقيّ الدين الهلاليّ

[١٣١١ - ١٤٠٧هـ] [١٨٩٢ - ١٩٨٧م]





إن كثيرًا من دعاة الإسلام يستثقل السفر والارتحال من أجل الدعوة إلى الله وبث الخير، ويبادر إذا دعوته لشىء من هذا بقوله: أنا لا أحب السفر!!

والمترجَم له فى هذه الحلقة ضرب المثل بكثرة الأسفار دعوةً إلى الله - تعالى- وتعلمًا وتعليمًا فى مشارق الأرض ومغاربها.

ولد -رحمه الله تعالى- فى قرية الغيضة من بوادى يفلى بسِجِلْماسة «تافيلالت» بالمغرب سنة ١٣١١/ ١٨٩٢، وكان أبوه وجده من الفقهاء، وهو من أسرة ينتهى نسبها إلى الحسين بن على -رضى الله عنهما- وسماه والده محمدًا التقى لرؤيا رآها، لكنه اشتهر بلقب تقى الدين لأن أهل الهند لقبوه بذلك فصار علمًا عليه.

قرأ القرآن على أبيه وجده، وحفظه وهو ابن اثنتى عشرة سنة، ثم سافر إلى الجزائر سنة ١٣٣٣/ ١٩١٥ لطلب الرزق، لكنه رأى النبى ﷺ فى رؤيا مقتضاها أنه ﷺ وجهه لطلب العلم فدرس على الشيخ محمد سيدى بن حبيب الله الشنقيطى مختصر سيدى خليل وعلوم اللغة حوالى خمس سنوات إلى وفاة الشيخ سنة ١٣٣٨/ ١٩٢٠ فى إحدى عمالات وهران من الجزائر، وكان الشيخ إذا سافر ينيب الهلالى فى إلقاء دروسه ويقول للطلبة: كل ما عندى من العلم فهو عند هذا الفتى.

ثم عاد إلى المغرب ووصل إلى فاس سنة ١٣٤٠/ ١٩٢٢ وحضر دروس بعض العلماء فى جامعة القرويين، وحصل منها على شهادة عادلها بعد ذلك بالشهادة الثانوية فى جامعة بون بألمانيا التى درس بها.



ثم فى آخر سنة ١٣٤٠/ ١٩٢٢ سافر إلى مصر واجتمع بمشايخ منهم: الأستاذ عبدالظاهر أبو السمح، الذى عُيِّن إمامًا فى المسجد الحرام بعد ذلك التاريخ بسنين، وحضر دروس القسم العالى بالأزهر، كما اجتمع بالأستاذ رشيد رضا، رحمهما الله تعالى.

وحدثت له بمصر حوادث كثيرة بسبب تمسكه بالكتاب والسنة وقوة حجته وشدته على خصومه، وبسبب تركه للطريقة التيجانية التى كان عليها، وقد ذكر هذا فى كتابه «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية».

وحضر دروس القسم العالى من الأزهر فنصحه الشيخ الزَّنْكَلونى بألا يطلب علم الحديث فى مصر لقلة العناية به آنذاك، ورأى الهلالى كتاب «عون المعبود شرح سنن أبى داود» وعلم أنه طبع فى الهند فعزم على السفر إلى هنالك، وشد الرحال بعد عدة أشهر قضاها فى الصعيد للدعوة والوعظ ثم حج وسافر، فأقام هنالك خمسة عشر شهرًا واجتمع بأهل الحديث وقرأ شيئًا من الحديث النبوى الشريف، ولقى الشيخ عبدالرحمن المباركفورى صاحب «تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى» ووصفه بأنه صالح عالم زاهد بكّاء، من أولياء الله الصالحين، وقد أجازه الشيخ المباركفورى والشيخ محمد بن حسين الأنصارى اليمانى نزيل بهوبال.

ودرّس ديوان المتنبى لمدة ستة أشهر فى مدرسة على خان فى دهلى.

ثم توجه إلى البصرة سنة ١٣٤٣/ ١٩٢٤ ولقى العالم الشيخ محمد الأمين الشنقيطى -الذى ترجمت له من قبل- وتزوج ابنته، وأقام بالبصرة ثلاث سنوات.

ثم سافر إلى المملكة ومعه توصية من الشيخ رشيد رضا إلى الملك عبدالعزيز قال له فيها:

«إن محمدًا تقى الدين الهلالى المغربى أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا منه».

فأقام فى ضيافته بضعة أشهر، ثم عُيِّن مراقبًا للمدرسين فى المسجد النبوى الشريف لمدة سنتين، وأراد الملك عبدالعزيز أن يجعله إمامًا فى المسجد النبوى فرضى بشرط أن يسبح فى الركوع والسجود عشر تسبيحات، فطلب منه الملك أن يقولها ثلاثًا فقط خشية الفتنة، فرفض ولم يقبل الإمامة!! والذى فاوضه فى ذلك هو الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، رحمهما الله تعالى.

ثم انتقل إلى مكة فأقام فيها سنة يُدرّس فى المعهد السعودى والمسجد الحرام.

ثم سافر إلى الهند -على إثر وشاية من أعدائه عند الملك- وصار رئيس أساتذة الأدب العربى فى «ندوة العلماء» فى لَكْنُو وبقى فيها أربع سنوات تقريبًا تعلم فيها الإنجليزية، وكان يُدرِّب الطلبة على الخطابة، وأنشأ بمساعدة تلميذه الشيخ مسعود الندوى مجلة «الضياء» التى تعلم الطلبة الكتابة والإنشاء.

ثم رجع إلى البصرة فأقام فيها ثلاث سنوات تقريبًا معلمًا فى مدرسة النجاة.

وفى العراق أراد التجنس بالجنسية العراقية فذهب إلى مدير وزارة الداخلية، وذلك سنة ١٣٥٣/ ١٩٣٤، فسأله المدير بفظاظة:

ما هى جنسيتك؟

فقال: مغربى.



فغضب المدير وقال: «جنسية هتشى ماكو» أى ليست هناك جنسية بهذا الاسم، قل: فرنسى!!

فقال له: بل هى موجودة فانظر ما هو مكتوب على الجواز باللغة الفرنسية: الدولة الشريفية، فلم يقتنع بذلك.

فقال له: هل كنت أنت إنجليزياً قبل سنتين، أى قبل المعاهدة؟

فقال: نحن كنا عثمانيين، ومن بعد صرنا عراقيين.

فقال له: ونحن دولة مغربية منذ ما يزيد على ألف سنة، منذ أسس الإمام إدريس بن عبدالله الدولة المغربية، واستقلت عن الدولة العثمانية.

لكن هذا الجدال لم يُفد شيئًا، ورفض المدير معاملة التجنس، ثم حصل على الجنسية بعد سقوط الوزارة بعد تلك المحاورة بأيام.

ثم سافر إلى جنيف بطلب من الأمير شكيب أرسلان، وقد سُقت ترجمته من قبل، ومن هنالك سافر إلى بون سنة ١٣٥٥/١٩٣٦ بتوصية من الأمير ليدرّس الأدب العربى محاضراً فى جامعتها، وقال الأمير فى توصيته به إلى أحد أصدقائه فى الخارجية الألمانية:

«عندى شاب مغربى أديب ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرِّس فى إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكانًا لتدريس الأدب العربى براتب يستعين به على الدراسة»، وشرع فى تعلم اللغة الألمانية، ثم صار طالبًا فى الجامعة ليجمع بين الدراسة والتدريس!!

وبقى فى بون ثلاث سنوات ترجم فيها كتابين عربيين قديمين إلى الألمانية، وهما «البلدان» لمحمد بن الفقيه البغدادى المتوفى أواخر القرن الثالث، وكتاب «طيف الخيال» لمحمد بن دانيال الكَحّال الموصلى نزيل مصر.



ثم طلبت وزارة الدعاية الألمانيـة من وزارة التعليم ورئاسة الجامـعة إعارة خدماته إلى جامعة برلين ليـشرف على الإذاعة العربية التى أسست فى بداية الحرب العالميـة الثانية، فصـار مرجعًا لغوياً للإذاعـة إضافة إلى قيـامه بمهام التدريس فى جامعة برلين، ولم ينسَ أن يكون طالبًا فيها أيضًا!!

واسـتطاع من خلال الإذاعـة أن يفـضح جرائم الفـرنسـيين فى المغـرب وجرائم الإنجليز، وألقى منها خطبًا ناريّة قوية، فنفـته فرنسا من المغرب نفيًا تأديبيّاً عن بُعد، ونـزعت بريطانيا جنسيته العراقية، فأين حرية التعبير؟!!

ثم قَدّم فـى صيف سنة ١٣٥٩/ ١٩٤٠ رسـالة الدكتـوراه لجامعـة برلين وهى ترجمة لكتاب «الجـماهر فى الجواهر» مع تعليقات عليهـا فَنَّد فيها آراء بروكلمان وغيـره من المستشرقين الألمان، ورد عليهم رداً قـوياً دافع فيه عن البيرونى الذى ادعوا أنه كـان زنديقًا شعوبيّاً، وذلك الدفاع اسـتقاه من كتب البيرونى نفسها، وناقشه فى الرسالة عشرة من العلماء الألمان ووافقوه جميعًا على ما ذهب إليه، ونشر الرسالةَ ناشر ألمانى لنفاستها.

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية بعثه الحاج أمين الحسينى إلى شمال المغرب فى مهـمة سيـاسية، وكـان جواز سفـره عراقيّـاً إذ كان قد تجنس بالجنسـية العراقية أثناء إقامته هنالك فرفضت السفارة العراقية تجديده لدسيسة إنجليزية، فبعث إليه السفير المغربى جوازًا مغربياً على أنه من تطوان، فساومه الإسبان على الدخـول إلى تطوان -التى كانت ترزح تحت نـير الاحـتلال الإسبـانى آنذاك- بأن يكتب مـقالاً يوضح فـيه أنه لا حقَّ لألمانيـا فى المغـرب، وكان الإسبان يتـخوفون من ألمانيا آنذاك، وكان لألمانيـا مطامع فى المغرب، فكتب المقال وذكر فيه أن المغرب لأهله وأنه لا حقَّ لأحـد من المحتلين فيه، ففرح



بالمقال الإسبان ونشروه، وطلبوا منه ألا يكتب أى شىء بعد ذلك إلا بإذنهم وبقى عندهم ٥ سنوات، خبيرًا فى معهد الباحثين، ودعا إلى ترك البدع واتباع الكتاب والسنة.

وفى أثناء إقامته ورد عليه خطاب من الأستاذ البنا -رحمه الله تعالى- يطلب منه مراسلاً لجريدة «الإخوان المسلمون» وإن استطاع الهلالى أن يكون هو المراسل فليفعل، وفى ذلك قال الهلالى تحت عنوان «التعاون مع الإمام الشهيد حسن البنا رحمة الله عليه»:

«وبينما المستعمرون الإسبانيون مغتاظون علىَّ؛ لأنى نقضت العهد الذى بينى وبينهم لأمرين: أحدهما: الاتصال بالوطنيين والتعاون معهم، والثانى: إلقاء الدروس بدون إذنهم، وهناك ثالث وهو نشر المقالات فى صحيفة «الحرية» لسان حزب الإصلاح الوطنى، إذا بهم يكتشفون أمرًا عظيمًا له بال هو أشد خطرًا من كل ما تقدم؛ وذلك أن الإمام حسن البنا -رحمه الله ورضى عنه- كتب إلىَّ يقول: إن صحيفتنا «الإخوان المسلمون» بلغت من الرواج والانتشار ولله الحمد إلى أن صارت فى مقدمة الصحف اليومية التى تصدر فى القاهرة، ولنا مكاتبون فى جميع أنحاء العالم إلا فى المغرب فليس لنا مُكاتب يبعث لنا بأخبار إخواننا المسلمين فى هذا القطر المهم، فأرجو من فضلك أن ترشدنا إلى مُكاتب تختاره لنا وتخبرنا بما يطلب من المكافأة، وإن سمحت لك صحتك بأن تكون أنت بنفسك ذلك المكاتب فهو أحب إلينا، فأجبته:

لبيك يا لبيك يالبيكا ... ها أنذا منطلقٌ إليكا



أنا الذى أتشرف بأن أكون مكاتبًا لصحيفة «الإخوان المسلمون»، ولا أريد على ذلك أجرًا إلا من الله تعالى».

فأرسل الهلالى عدة مقالات فاكتشف أمره لتواطئ ساعى البريد المغربى مع الإسبان، فسُجن ثلاثة أيام فى شفشاون مكان إقامته، ثم أُفرج عنه بعد تذمر أهل المدينة وشكواهم إلى السفير الإسبانى فى طنجة وبعد إطلاقه نزع الإسبان منه جوازه بدعوى أنه مزور!! واجتمع بالبنَّا بعد ذلك سنة ١٣٦٦/ ١٩٤٧ فى مركز الإخوان العام فى القاهرة.

ثم سافر إلى العراق سنة ١٣٦٦/ ١٩٤٧ وعُيِّن مدرسًا للكتاب والسنة وللأدب العربى فى كلية الملكة عالية فى جامعة بغداد، لكن صالح جبر رئيس الوزراء -وكان من الشيعة- منعه من العمل بحجة أنه عاد إلى العراق بجواز أجنبى وأنه تنازل عن الجنسية العراقية، وهذا لم يحدث إنما اضطر إليه الهلالى لأن السفارة العراقية فى روما لم تجدد جوازه كما ذكرتُ من قبل، وفحص الهلالى عن السبب الحقيقى لهذا العداء فإذا هو بسبب تشيع صالح جبر، واطلع الهلالىّ على ملفه فى دائرة التحقيقات الجنائية بمساعدة بعض أصدقائه فوجد فيه أنه معادٍ للشيعة، فمكث سبعة أشهر على ذلك حتى وقعت اضطرابات فى العراق فرّ على إثرها صالح جبر ونورى السعيد، وتولى محمد الصدر رئاسة الوزارة وأمر بإعادة الاعتبار للهلالى وإعادة تجنيسه، واستطاع بذلك أن يزاول عمله فى الجامعة.

ثم بعد أربع سنوات رُقِّى إلى درجة أستاذ مساعد ثم أستاذ.

ولما حدثت ثورة الشيوعيين فى العراق سنة ١٣٧٧/ ١٩٥٨ اضطربت الأوضاع جدًا، وقُتل كثير من المسلمين ظلمًا وعدوانًا، فخاف الهلالى على



نفسه فخرج من العراق إلى المغرب وعُيِّن أستاذًا فى كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط ثم فى فرعها فى فاس.

وبقى فيها إلى سنة ١٣٨٨/١٩٦٨.

ثم حجَّ فى تلك السنة فدعاه الشيخ عبدالعزيز بن باز ليكون أستاذًا فى الجامعة الإسلامية فى المدينة النبوية المنورة وبقى فيها إلى سنة ١٣٩٤/١٩٧٤.

ثم عاد إلى المغرب وأقام فى مدينة مكناس للدعوة والوعظ وإلقاء الدروس فى المساجد، وتجول فى أنحاء المغرب للدعوة.

- همته:

- والناظر إلى هذه السيرة العجيبة يعلم أن صاحبها كان ذا همة عالية جدًا، فقد هان عليه السفر فى زمن كان السفر فيه صعبًا شاقًا، وهان عليه تحمل المشاق الكثيرة فى سبيل الدعوة إلى الله والوعظ والإرشاد، حتى إنه كان يسافر ماشيًا فى بعض الأحيان.

وتعرض للأخطار الكثيرة فلم يأبه بها حتى إنه هُدد بالقتل فلم يرجع عما يعتقده ويؤمن به، رحمه الله تعالى.

- ومن الدلائل على علو همته ما قاله أحد تلاميذه وهو أحمد هارون التطوانى:

«لم يكن شيخنا ليُضيِّع وقته مهما كان، يقرأ ويكتب الأشعار وهو فى السيارة، يقضى يومه من الصباح إلى المساء فى علم وتعليم وذكر وتأليف».



وقال أيضًا:

«يتميز أستاذنا باتصاله بالشعب، فأى شخص صغير أو كبير يستطيع أن يوقفه فى الشارع ويتحدث معه، كما كان بيته مفتوحًا دائمًا فتجد الأفواج تأتى إلى منزله وهو لا يمل من الترحاب والإكرام، وكان يقوم بنفسه قبيل صلاة الصبح يسخن لنا الماء لنتوضأ به».

- مؤلفاته:

للهلالى كُتُب كثيرة تناهز الأربعين، وترجم صحيح البخارى إلى الإنجليزية، وكان يكتب فى مجلة «الفتح» لمحب الدين الخطيب، ومجلة «المنار» لرشيد رضا، ومجلة «الهدى النبوى» لجماعة أنصار السنة.

له ديوان شعر منه قصيدة قالها فى انتقاد أخلاق الموظفين فى العراق أيام الحكم الملكى، ومنها:

نحن فى بلدة غدا الحكم فيها ... -يا رحيمًا رحماك- للبواب

إن يكن راضيًا دخلتَ وإلا ... تبقى فى الواقفين دون الباب

بلدة أصبح الموظف فيها ... جالسًا فى السماء فوق السحاب

مَن يُرِدْ أن يلقى الموظف يُبصرْ ... قبل أن يلقاه صنوف العذاب

ومنها يتحدث عن لقاء المدير:

وإذا ما سألت عنه فلا تسمع ... منهم سوى اختلاق الجواب

هو عند الوزير بل فى اجتماع ... عنده زائر من الأصحاب

لم يَجِئْ بعدُ فانتظر أو تأخر ... لغد أو فاغرب لغير إياب



وإذا فـزت بـاللقـاء فـحـاذر	رفع صـوتٍ أمامـه فى الخطاب
وتجنب ذكـر الحـقـوق وبالغ	فى خـضـوع وذلة وانتـحـاب
ثم قُـل فى تملـق وانكسـار	وثنـاء منمـق مـسـتـطاب
ليت كل الموظفين كـمثل البيك	فـى رقـة ولـيـن جنـاب

إلى آخر ما قاله رحمه الله تعالى.

- توفى -رحمه الله تعالى- سنة ١٤٠٧/ ١٩٨٧ بمـنـزله فى الدار البيضاء فيكون بذلك قد عـاش قرابة ٩٧ سنة، وكانت خاتمتـه حسنة -إن شاء الله- فقد تـوضأ وصلى ركعتـين وقرئ عليه سورة ياسـين، ثم طلب من القارئ الإعادة من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧] فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، رفع الشيخ إصـبعـه إلى السماء وفـاضت روحه رحمه الله تعالى.

قال عنه العلامة حماد الأنصارى:

«كان فى اللغة العـربية إمامًا، وكان على مـذهب ظاهرى، وهو شيخى استفدت منه كثيرًا، وكان سلفى العقيدة؛ لو قرأتَ كتابه فى التوحيد لعلمتَ أنه لا يعرف التوحيدَ الذى فى القرآن مثلُه».

وقال أيضًا:

«وقد مضت علىّ الآن خمس وأربعون سنة لم أر مثله».



والعجيب أن الشيخ عبدالحميد بن باديس مدحه سنة ١٣٥٦/١٩٣٨، أى قبل موت الهلالى بإحدى وخمسين سنة!! فقال عنه:

«والأستاذ العلامة محمد تقى الدين الهلالى -صاحب الفصول الممتعة، والبحوث الجليلة فى صحيفة «الفتح»- من أفاضلنا الذين أجمع على الاعتراف بفضلهم الشرق والغرب، والعرب والعجم، والمسلمون وغير المسلمين، فهو فى الحجاز نار على علم شهرة وفضلاً، وفى الهند تبوأ منصة التدريس فى أرقى جامعاتها، وفى العراق معروف بدأبه على خدمة هذه الأمة وحرصه على خيرها، وهو الآن فى ألمانيا موضع الحرمة من أركان جامعة بون التى يتولى التدريس فيها؛ فالأستاذ الهلالى رجل علمى واسع النظر واقف على أحوال الشرق والغرب لذلك كان ما يقرره فى بحوثه من حقائق يأتى ناضجًا مفيدًا ممتعًا...».

فانظروا إلى هذه الشمائل والخلال التى كان يتحلى بها قبل ٥١ سنة من وفاته!!.

- قوته فى الحق:

كان الشيخ قوياً فى الحق لا يعرف اللين فيه ولا المحاباة، وجرى له بسبب ذلك أحداث عديدة منها أنه لما سافر إلى مصر -كما بيَّنتُ من قبل- قصد الإسكندرية، وفى الطريق أدركته صلاة الظهر فى إحدى القرى فصلى فى مسجد فرأى فيه قبراً والناس تتمسح به ويطلبون منه المدد والحوائج، فأنكر عليهم بشدة فضربوه حتى أغمى عليه، وأنقذه الله بمن رش على وجهه الماء وأخذه إلى بيته يمرضه شهراً كاملاً، ونصحه -بعد أن عاتبه على قلة مداراته- بالذهاب إلى الملك عبدالعزيز فسيجد عنده بغيته.



ـ ومن مواقفه أنه كان إمامًا لمسجد بناه الوجيه مصطفى إبراهيم فى منطقة الدورة بالبصرة، وفى مرة من المرات حانت صلاة المغرب فتأخر صاحب المسجد عن الحضور فى موعد الصلاة فأقام الهلالى الصلاة وصلى ولم ينتظره، وبعد الصلاة عاتبه لأنه لم ينتظره، فقال له: إن وقت المغرب قصير ولا يصح التأخير، فقال: ألا تعلم يا شيخ تقى الدين أننى أملك نصف منطقة الدورة؟!!

فقال: وأنا أملك النصف الآخر!! وأنا إمام المسجد.

ثم غادر المنطقة ولم يَعُد إليها.

وقد استشاره الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ -رحمهما الله تعالى- فى قطع النخلة والشجيرات وطَمِّ البئر التى فى المسجد النبوى الشريف لما افتتن بها العامة فأشار عليه بصنع ذلك، فاستأذن الشيخ عبدالله بن حسن الملك عبدالعزيز فى هذا الصنيع فأذن له فقطعت النخلة والشجيرات وطُمّ البئر.

ـ **مروءة الشيخ:**

كان الشيخ -رحمه الله تعالى- صاحب مروءة وشهامة، يساعد الناس ويقضى حوائجهم، وإليكم هذه القصة المعبرة التى تدل على ذلك، فقد تحدث الشيخ عن تلميذة درست عنده اسمها نزهة فقال:

«صارت «نزهة كويز» من تلميذاتى قبل ثلاث سنين، ولما عرفت ما أوجب الله عليها من ستر العورة والتمسك بالعفاف عزمت على أن تعصى والديها ولا تعود إلى المدرسة، فلما حان ابتداء السنة الدراسية أخبرت أهلها بذلك، فقالا لها: أجننت؟ كيف تتركين الدراسة بعد ما نجحت فى السنة الخامسة من الثانوى وتضيعيننا وتضيعين نفسك؟

فقالت لهم: إنى قد علمت من دروس الدكتور محمد تقى الدين بن عبدالقادر الهلالى الحسينى أن ما ترتكبه المدارس الثانوية من إجبار الفتيات على التجرد من ثيابهن بحيث لا تبقى إلا خرقة رقيقة تستر القبل سترًا كالعدم، وأخرى مثلها تستر الدبر ويكون ذلك أمام رجال المدرسة من معلمين وطلاب، ومن يمر بجانب المدرسة من عابرى السبيل، حرام شرعًا، وهى بذلك تشير إلى ما تلبسه الطالبات إذا نزلن المسبح.

وجاءتنى باكية فذهبت إلى طبيب مشهور فى مكناس، والتمست منه أن يكتب لها شهادة بأنها مريضة، وأن الرياضة البدنية التى يتستر بها المجرمون فى تعرية الفتيات وهن ما بين السادسة عشرة والثانية والعشرين لا تتفق مع صحتها، فلما قدمت الشهادة إلى مدير المدرسة بعثها إلى طبيب فرنسى ففحصها ووجدها صحيحة لا مانع لها من الرياضة البدنية بل التعرية الشيطانية، فرجعت إلىَّ باكية أيضًا وكان عندى سبعة من المعلمين فى المدارس الثانوية يتلقون دروسًا من كتابى «تقويم اللسانين» فعرضت عليهم المشكلة، فقالوا: إن مدير المدرسة التى تدرس فيها نزهة متدين وقد حج بيت الله، فنحن نتوجه إليه ونسأله إعفاءها من درس الرياضة البدنية الذى يتسترون به على كشف عورات النساء وتعويدهن على الوقاحة وقلة الحياء بل عدمه فيصلن بذلك إلى الفجور.

فذهبوا إليه وإلى الحارس العام الذى يشاركه فى التصرف فاعتذر المدير بأنه يخاف المفتش خصوصًا، وقد ثبت أنها تستطيع أن تلعب الرياضة، فقال الحارس العام: إذا وافقنى المدير فنحن نعفيها من ذلك، فأُعفيت من تلك السنة، وكانت تحافظ على صلاة العصر فى وقتها فيجتمع عليها سفهاء



المدرسة من الرجال والنساء، ويقولون: هذه الجدة جاءت!! هذه الحاجة جاءت!! تقبل الله!! استهزاء بها، فلا تبالى بهم، وتؤدى صلاتها بغاية الاطمئنان، لا تألو جهدًا أن تصلى صلاة رسول الله ﷺ.

واتفق أنى فى تلك السنة اتصلتُ بصاحب الفضيلة رئيس تعليم البنات الشيخ ناصر بن حمد آل راشد، فبعث إلىّ مدير التعليم سعادة الأستاذ الشيخ عبدالله العقيل وقدم علىّ فى مدينة الدار البيضاء، وأقام أيامًا تكرر اجتماعنا فيها، وأخبرنى: بأن سماحة رئيس تعليم البنات الشيخ ناصر بن حمد آل راشد يقبل خمس طالبات كل سنة يكملن تعليمهن فى دائرة تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية، وكان فى ذلك فرج ومخرج لنزهة كويز، فكانت أولى الطالبات الخمس، وفرحت بذلك فرحًا عظيمًا، وقد استجاب الله دعاءها، فأخرجها من الظلمات إلى النور.

ولما حان وقت سفرها مع سائر الطالبات ذهبت إلى المدرسة التى كانت فيها لتأخذ كتابًا أعارته طالبة أخرى، فرآها المجرم المكلف بتعرية الطالبات يوم الثلاثاء من كل أسبوع بذريعة ممارسة الرياضة البدنية، فنظر إليها شَزْرًا -أى من طرف عينه احتقارًا- وأوسعها هُجْرًا، أى سبًا مُقْذِعًا- وقال لها: لماذا غطيت رأسك أمريضة أنت؟

فأجابته: إن الإسلام أمرنى بتغطية رأسى.

فقال لها بالفرنسية ما معناه: «فى نظرى واعتقادى لا وجود للإسلام».

ولما أخبرتنى بذلك استشطت غضبًا، وقلت لها: هلا قلت له: وفى اعتقادى أنا أنت لست موجودًا، وأنتِ تعلمين أنه لم يبقَ له عليك سلطان،



ولكن الفتاة المسلمة غلبها الحياء، وقد درست هذه الطالبة السنة الماضية فى مدارس تعليم البنات بالرياض ونجحت، وهى الآن تدرس فى هذه السنة هناك.

والفتيات المسلمات الطاهرات إذا سافرن للتعلم فى مدارس السعودية يتلقين تغطية الوجه مع التستر التام بغاية السرور والفرح، وقد كتبت إلىَّ إحداهن وهى آمنة الهاشمى ممن بُعثن فى هذه السنة بعدما وصلت إلى الرياض، ورأت فى الطريق كيف يعامل الناس الطالبات المسلمات بغاية الاحترام والتكريم، افتتحت الكتاب بهذه العبارة: «الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور». اهـ.

ـ من عجائبه:

كان الشيخ ذا عجائب كثيرة وقعت له فى حياته، ومن أكثرها وأعجبها ما وقع له حال انتسابه إلى الطريقة التيجانية وفى طريقة خروجه منها وبعد الخروج، وقد بيَّن كل ذلك مفصلاً فى كتابه: «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية»، فلينظره من أراد الوقوف عليها فهى كثيرة يضيق المقام بذكرها.

ومن عجائبه أنه كان يعرف خمس لغات معرفة متقنة إضافة إلى إمامته فى الفصحى وهى الألمانية والإنجليزية والفرنسية والعبرية والإسبانية، ويعرف البربرية، ويشارك فى الأردو والسُّريانية.

ـ وكان كثير الزواج، فقد تزوج فى المملكة وله ابنتان فيها.

وتزوج فى العراق وله أولاد هنالك اتصل أحدهم بالشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى- أيام حرب الخليج الأولى، وكان فى مخيم رفح للاجئين، فاهتم الشيخ ابن باز كعادته به وطلب من المسؤولين أن يحضر إلى الرياض هو وأولاده وأكرم وفادتهم حتى عادوا إلى العراق.



وتزوج فى المغرب لكنه لم يرزق بأولاد من تلك المرأة.

وتزوج قبلها بأم شكيب وهى مغربية وله منها ابن وبنت.

وتزوج فى ألمانيا بامرأة مسلمة وله ولد منها.

- ومما حصل له وهو يدعو إلى العجب أنه كان يتحدث مع البروفيسور شميت مدير مستشفى العيون التابع لجامعة بون بألمانيا، وهو أحد العلماء العشرة الذين يتألف منهم مجلس الجامعة الأعلى، وذلك سنة ١٣٧٤/ ١٩٥٤ فوجده يعتقد أن الدولة العثمانية وسلاطينها ما زالوا موجودين!! وهذا غريب من عالم كبير ومدير لمستشفى؛ فقد سقطت السلطنة العثمانية والخلافة قبل ذلك الحديث بثلاثين سنة فكيف لم يصل ذلك إلى علمه!!

ملحوظة:

ذكر الدكتور محمد بن لطفى الصباغ أن الهلالى قدم عليهم فى دمشق سنة ١٣٧٣/ ١٩٥٣ وكان كفيف البصر، ويستعمل فى القراءة طريقة برايل، وهذا عجيب فإنى لم أقرأ لأحد أن الهلالى كان كفيفًا.

لكنى قابلت تلميذه الأستاذ محمد الموسوى صاحب مكتبة الحكمة فى الدار البيضاء فأكّد لى أنه كان كفيفًا، فعلمت أن مَن ترجم له أغفل ذكر هذا الأمر وهو نقص فى الترجمة ولاشك؛ لأن هذا العمى مما يزيد فى التأكيد على عظمة الشيخ وعلو همته(١).

(١) وجدت له فى كتابه «تقويم اللسانين» ص ٦١ نصاً يذكر فيه ضعف بصره وعدم قدرته على القراءة، فيبدو أنه فقد بصره تدريجًا.



[٢]

الشيخ القوى

محمد الحامد

[١٣٢٨/١٣٨٩هـ][١٩١٠/١٩٦٩م]

فى التاريخ الإسلامى مشايخ كثيرون لا يُعدون ولا يُحصون لكن قليلاً من أولئك الكثير كانوا عاملين، والأقل منهم كانوا متصدين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان من هؤلاء فضيلة الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى.

ولد فى حماة -مدينة أبى الفداء- سنة ١٣٢٨/ ١٩١٠، وهى مدينة النواعير -حاملات المياه الدائرة- قال عنها ابن بطوطة رحمه الله تعالى: «حماة إحدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة، ذات الحسن الرائق والجمال الفائق، تحفها البساتين والجنات، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصى».

وقال عنها ابن سعيد الأندلسى: «وفى حماة مَسْحَةٌ أندلسية».

وكان للشيخ شقيقان أحدهما أكبر منه وهو شاعر يسمى بدر الدين، والآخر أصغر منه وهو عبدالغنى، ووالدهم الشيخ محمود كان شيخ النقشبندية فى حماة، وكان قليل ذات اليد، حادّ الطبع، ورعًا، عفيفًا، يُعلم الأطفال فى الكُتاب، ثم ما لبث أن توفى وكان عمر الشيخ محمد الحامد ست سنوات آنذاك.

وبعد سنة فقد الشيخ أمه فصار إلى اليُتم وفقد حنان الأم، وعاش الأولاد الثلاثة فى محنة لأنه لا مورد لهم، ولأن الحرب العالمية الأولى ضيقت العيش على الناس جداً، وكان الولد الأكبر بدر الدين لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره آنذاك، فباع أقرباؤهم أثاث المنزل ثم أجّروه،



وأودعوا أجرته عند بعض الثقات ليتولى الإنفاق عليهم، وسكن الإخوة مع بعض الأسر الفقيرة يعانون من الجوع والحرمان.

ودرس الشيخ محمد وأخوه الأصغر فى إحدى المدارس الابتدائية، وكانا يعانيان من مرارة الجوع والحرمان، ووصف ذلك الشيخ محمد بقوله: «كنا كثيرًا ما نبقى فى المدرسة أثناء فرصة الغداء دون طعام، حتى إن أخى كان يبكى أحيانًا من شدة الجوع، على حين أشغل نفسى باللعب عن آلام الحرمان».

وكان أخوهما الأكبر قد اضطر لاختصار دراسته فقطع تعليمه الثانوى ليعمل وينفق عليهما بسبب ذلك الضيق فكان لهما بمثابة الأبوين؛ فقد عمل وكيلاً لمزرعة، وشارك فى دكان صغيرة «بقالة» وغير ذلك ليوفر بعض المال، وأخذ أخويه إلى بيت أخواله فأعطوهم غرفة عندهم، ثم لما استغنى قليلاً انتقل بأخويه إلى غرفة منفردة فى دار منعزلة:

فرغ الشيخ محمد من دراسته الابتدائية لكنه لم يُرد أن يكمل الدراسة وآثر عليها حلقات العلم عند المشايخ، واشتغل فى محل خياطة فى النهار، وفى المساء يقصد حلقات العلم.

فلما افتتحت مدرسة «دار العلوم الشرعية» هجر العمل فى الخياطة إليها سنة ١٣٤٢/ ١٩٢٤، واستمر فى حضور الحلقات العلمية وكان فى ذلك صاحب همة عالية، إذ بلغت تسع حلقات!! وكان من مشايخه خاله العلامة السلفى الشيخ سعيد الجابى، وشيخ الشافعية بحماة محمد توفيق الصباغ والعالم الورع أحمد المراد أمين الفتوى فى حماة الذى تزوج الشيخ



محمد الحامد ابنته قبل أن يكون له أى مورد منتظم، والشيخ محمد سعيد النعسانيّ مفتى حماة.

وفى سنة ١٣٤٧/ ١٩٢٨ أنهى الشيخ محمد دراسته فى المدرسة، وسافر إلى حلب ليدرس بمدرسة خسرو باشا الشرعية التى كانت أرقى المدارس الشرعية فى بلاد الشام لعظم مدرسيها وجودة مناهجها، وجَدّ فى طلب العلم وثابر حتى نبغ، ووصفه أحد مشايخه -وهو الشيخ أحمد الشمّاع- بأنه «بحر علم لا تنزحه الدلاء».

ولم يكتفِ بالمدرسة بل واظب على حضور حلقات العلم خاصة حلقة الشيخ نجيب السراج، وصار يكثر من القراءة والمطالعة لأنه كان يرى أن «المناهج الرسمية تُعنى بتكوين الشخصية العلمية، أما التضلع من العلم فطريقه المطالعة الواسعة».

ثم لما فرغ من الدراسة فى حلب يمم وجهه شطر مصر وأزْهَرِهَا سنة ١٣٥٦/ ١٩٣٧ لكنه نفر من مظاهر السفور التى انتشرت فى مصر آنذاك، والاختلاط الفاحش السائد هنالك آنذاك، حتى إنه كتب لأحد مشايخه يقول له: «ماذا يأمل طالب العلم الحقيقى فى مصر وهو يرى المحرمات من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله».

ولم يسترح لتفلت المشايخ فى الأزهر من السمت الإسلامى فيصفهم بقوله: «غير عاملين بالسنة، وليس عندهم شىء من الروحانية، وطلبة الأزهر يحلقون لحاهم وشواربهم، وكثير منهم لا يصلون!!! وهم يشاغبون أثناء الدروس، ويقرءون فى الجرائد لعدم رغبتهم فى العلم وقلة تشوقهم



له، ولئلا تكثر عليـهم المقروءات فيصعب الفحص فـهم طلاب شهادات لا طلاب علم».

ولما رأى ذلك كله سارع بالعودة إلى حماة فصار كثير من الناس يقرعونه على خروجه من مصر وتفويته تلك الفرصة، فاضطر للعودة لكن الله تعالى أنجده بثُلَّة من الشـيوخ والدعاة كان على رأسـهم الإمام الشهيـد حسن البنا رحمه الله، وقد تأثر به الشيخ محمد الحامد وقال عنه:

«إن المسلمـين لم يروا مثل حـسن البنا منذ مـئات السنين فى مـجمـوع الصفات التى تحلى بها وخفقت أعلامها على رأسه الشريف، لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العـالمين، ومعرفة العـارفين، وبلاغة الخطبـاء والكاتبين، وقيادة القائدين، وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين، لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولاحقين، لكن هذا التجمـع لهذه المتفرقات من الكمالات قَلّما ظفر به أحد كالإمام الشهيد -رحـمه الله-، كان لله بكليته بروحه وجسده، بقلبه وقالبه، بتـصرفاته، وتقلبه، وكان الله له واجتـباه، وجعله من سادات الشهداء الأبرار».

وقال عنه البنا أيضًا:

«والذى أثَّر فى نفسى تأثيرًا من نوع خـاص وله يد فى تكوينى الشخصى سيدى وأخى فى الله وأسـتاذى الإمام الشهـيد حسن البنا. . . صحـبته فى مصر سنين، وحديثى عنه لو بسطته لكان طويل الذيل ولكانت كلماته قطعًا من قلبى، وأفـلاذًا من كبـدى، وحُرَقًا من حـرارة روحى، ودموعًـا مُنهلة منسابة تشكل سيلاً من فاجع الألم وعظيم اللوعة».

ـ وكان الشيخ محبّاً للرحلات، فلما كان فى مصر دار فى بلادها وقراها حتى وصل إلى أسوان، على صعوبة نسبية فى التنقل آنذاك، وزار الفيوم وشبهها بحماة خاصة نواعيرها.

وحصل فى الأزهر على شهادة العالية تخصص فى القضاء سنة ١٣٦٢/١٩٤٢، ثم لم يُرد أن يواصل الدراسات العليا وعاد إلى حماة ووُظف مدرسًا فى وزارة التربية والتعليم.

وهناك جلس للتعليم بدأب وهمة عالية لا ينشغل عنه إلا بضرورات الحياة وحاجاتها، أو بما ينشغل به من كتابة كتب ورد على استفتاءات، وكان قد برز وتميز فى المذهب الحنفى حتى صار أحد أعمدته فى بلاد الشام.

ـ جهاده:

كان الشيخ -رحمه الله- مشاركًا فى مجاهدة الفرنسيين الذين احتلوا بلاد الشام ظلمًا وعدوانًا وعاثوا فى أرضها الفساد ونادى بالاستقلال، وكان يُذكى بخطبه الحماسية جذوة الجهاد داعيًا إلى الثورة ضد الفرنسيين.

وكان يخطب وطائرات العدو الفرنسى يوم الجمعة تقصف حماة مرارًا، وتُلقى بقنابلها حتى على المساجد، وكان مما يقوله آنذاك:

«أيها المسلمون: أعدوا أنفسكم للجهاد، وَطِّنوها على الموت، موت شريف خير من حياة تعيسة... ركوب الصعاب والأهوال فى ارتفاع أجمل بكثير من الراحة والدَّعة فى استخذاء...» ولما استقلت سوريا رفع بنفسه العلم فوق ثكنات الفرنسيين العسكرية بعد أن رفع الأذان فيها بنفسه.



ثم أراد أن يشارك أخاه الدكتور مصطفى السباعى فى الجهاد فى فلسطين لكن علماء حماة منعوه؛ لأنهم رأوا أن بقاءه معلمًا ومهذبًا وداعيًا أولى من الذهاب للجهاد، فاستجاب لهم، لكنه انضم إلى اللجان التى شكلت لمساعدة الفلسطينيين وجمع المعونات لهم، وكان يطوف على الناس من أجل هذا، ولما وقع العدوان الثلاثى على مصر ١٣٧٦/١٩٥٦ انضم الشيخ إلى صفوف المقاومين الشعبيين، وحمل السلاح وكان يخرج إلى أحد الحقول للتدريب، والشىء نفسه صنعه لما وقعت النكبة الكبرى ١٣٨٧/١٩٦٧.

وكان دائمًا يوصى الشباب بالدخول فى الجيش.

- دعوته:

كان الشيخ داعية إلى الحق والخير والهدى والرشاد، مثابرًا فى ذلك، وقد التف عليه الناس وأحبوه، ومن جملة أعماله فى الدعوة ما حكاه عن نفسه بقوله:

«لما وجهت إلىّ وزارة المعارف تدريس الديانة والعربية فى «تجهيز حماة» كنت كثير التشاؤم من حال الطلاب ووضعهم، ولكن بعد قليل تبدل تشاؤمى تفاؤلاً وانقباضى انبساطًا واستبشارًا؛ حثثتهم على الصلاة فصاروا يصلون، ويحضر بعضهم الدرس العام، وقذف الله تعالى النور فى قلوبهم فشعروا بتفريطهم الماضى؛ فطفقوا يسألوننى عن أحكام تتعلق بقضاء الفوائت، ومن قريب سألنى أحدهم عن حكم يتعلق بقيام الليل مبديًا رغبته فى قيامه»، وهذا هو تأثير الداعية القوى فيمن حوله إذا أخلص واجتهد وثابر.



وكان الشيخ خطيبًا قوياً مؤثرًا يخطب فى جامع السلطان فى حماة، ويوجه الناس إلى الخير والهدى، وكان فصيحًا بليغًا بعيدًا عن اللحن.

ويعود له الفضل بعد الله تعالى فى تهدئة مدينة حماة عند ثورة الشهيد - بإذن الله- مروان حديد، وقد اعتصم فى جامع السلطان فهُدم المسجد فوق أهله وسقطت مئذنته، وجرت أحداث خطيرة، فقام على رأس وفد من أهل المدينة، يُهدئ الخواطر ويقمع الفتنة، ومنع العسكر من دخول المدينة بجرأة وقوة.

وكانت له الفضل -بعد الله تعالى- فى التصدى لموجات الإلحاد التى طغت آنذاك، إذ إن سوريا لما استقلت تنازعتها التيارات الضالة من كل جهة، وانتشر فيها فساد لم يُعرف من قبل، فوقف الشيخ فى وجه تلك التيارات للحفاظ على عقيدة الأمة وأخلاقها.

وكانت له حلقة فى الجامع يؤوب إليها أهل الهوى والضلال أو أهل العصيان.

وكان له أثر بالغ فى قيادة وتوجيه أهل مدينة حماة.

وكان يذهب إلى مجتمعات الناس ليعلمهم ويرشدهم، فإذا ذُكِّر بتعبه ومرضه قال: ماذا أصنع؟! هذا واجبى وهم لا يحضرون الدروس فى المساجد.

وكان يرى أن سبب انتشار الفساد هو سكوت العلماء، وله فى ذلك كلمة جليلة، منها:



«والله ما أفشى المنكرات وعممها وجعلها ظاهرة لا يبالى بها إلا إغضاؤنا على القذى وسكوتنا على الباطل وممالأتنا لأصحابه، ما ضر الجماهير شىء كسكوت الواعظين حين يرون المخالفات العلنية فلا يزجرون عنها».

ولذلك كله فإن الشيخ لم يحج إلا حجة واحدة فقط، فكان يقول: «كيف أذهب إلى الحج وأترك البلد خالية ليس فيها من يُفتيها ويحل قضاياها الشرعية بعد أن ذهب معظم العلماء إلى الحج؟ كيف أذهب إلى حج النفل وأترك طلابى فى المدرسة وهم أمانة فى عنقى أُسأل عنهم أمام الله تعالى».

- قوته فى الحق:

كان الشيخ -رحمه الله تعالى- قوياً فى الحق، لا يهادن فيه أحدًا؛ حتى أقرب المقربين إليه، وقد هجر أخاه عبدالغنى زمانًا طويلاً بسبب شذوذه فى فهم آية من كتاب الله تعالى.

وكان يرفض حضور الحفلات الرسمية لما فيها من اختلاط بين الرجال والنساء.

وكان ينزع خواتم الذهب بيده من أيدى الكبراء والوجهاء.

وحضر مرة عند أحد أصدقائه وكان هناك شاعر حموى، وهو طبيب فتلفظ بكلام لم يَرُق للشيخ، فأنكر الشيخ ذلك وغادر المجلس.

وأثناء تداويه فى بيروت قال له أحد المتصوفة: إن النبى ﷺ خُلق من نور، فاستتابه الشيخ -رحمه الله تعالى- وجدد إسلامه وعقد نكاحه، بعد أن أخبره أن هذا القول كفر، وأن النبى ﷺ خلق كما خُلق سائر البشر.



- صفاته:

كان جريئًا قوياً فى الحق، مداومًا على الذكر وقراءة القرآن، غزير العَبْرة كثير البكاء، ناصحًا، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، مشفقًا على أصحابه وإخوانه، بعيدًا عن النزاع والشقاق، مستمسكًا بالنصوص الشرعية.

وكان ورعًا، وله فى الورع قصص عجيبة تذكّر بورع السلف، خاصة فى طلب المال الحلال والتعامل مع الباعة والعمال، رحمه الله تعالى.

قال فيه الشيخ الطنطاوى رحمهما الله تعالى:

«كنت أخالف الشيخ فى مسائل الفقه... وأشهد مع ذلك أن الشيخ كان صادقًا مع الله، صادقًا مع نفسه، وقد جعل الله له من الأثر فى الناس ما لم يجعل لعشرات من أمثالى».

وقد صحبه فى مصر فوجده «صاحب نكتة، وفى روحه خفة على القلب، وفى سلوكه أنس للنفس.

- تنازع التصوف والسلفية فى صدره وعقله:

كان للشيخ مشايخ سلفيون منهم خاله الشيخ سعيد الجابى -كما سبق ذكره- وكان قد اتجه إلى الدعوة السلفية فى بداية حياته، ثم تحول عنها إلى التصوف فى حلب وناله بذلك بعض الأذى، وكان له شيخ صوفى أثير لديه وهو الشيخ أبو النصر خلف، فكان يرى فى شيخه أبى النصر سمات الزهد والورع والتقوى وانضباط المسلك، لكنه إذا قرأ فى كتب المتصوفة مثل «الإنسان الكامل» للجيلى، وكلام ابن عربى ضاق صدره وراجع شيخه.



وفى الوقت نفسه كان يحب الكتاب والسنة، ولكنه إذا رأى من بعض السلفيين الدعوة إلى نبذ كتب الفقه، والأخذ من الكتاب والسنة ونبذ آراء الفقهاء ضاق صدره، فإذا رأى جفاف قلوب بعضهم وقسوتهم وشدتهم ضاق صدره أيضًا وأخبر شيخه بذلك.

وقد ألف رسالة فى الرد على هؤلاء المتفلتين من زمام الفقه والفقهاء سماها «لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسمًا للفوضى الدينية».

وكان يقول -مُوَفِّقًا بين الصوفية الصحيحة والسلفية الصادقة-:

«السلفية الحقة تجتمع مع الصوفية الصحيحة متى حسن الفهم وصح العزم على الجمع الذى هو شأن الدعوة وأَرَب الإخوان، وإذا زخرت الصوفية بالروحانية الغامرة والرقة العميقة فليست بمنكرة على أختها السلفية تحريها تنقية الإسلام مما لابسه من الغرائب عنه كى يعود إلى صفائه وخلوصه».

وكان يقول:

«العلم هو الأمير على التصوف»، وهذا ضابط حسن.

- حبه للعلم:

لقد كان الشيخ -رحمه الله تعالى- متعلقًا بالعلم الشرعى مؤثرًا له على كل شيء حتى إنه قال عن نفسه: «وإنى أحمد الله على توفيقه وتيسيره إياى للتوسع العلمى ووضعه الشغف به فى قلبى، حتى إنى لأوثر العلم على اللذائذ المادية التى يقتتل الناس عليها، ولو أنى خُيرت بين الملك والعلم لاخترت العلم على الملك والسلطان».



وكان لا ينقطع عن مذاكرة العلم حتى فى أوقات خروجه للنـزهة.

وكان قد استفاد من الأزهر البحث العلمى الدقيق فكان يظهر فى مؤلفاته أثر ذلك.

ـ اهتمامه بأهله:

كان الشيخ -رحمه الله- حسن الالتفات إلى زوجه، فعلمها العلم الشرعى وهذب أخلاقها، وإلى أولاده فعلمهم وهذبهم، وهذا عمل قَلّ مَن يلتفت إليه من المشايخ الذين تزدحم عليهم أعمالهم وأشغالهم فلا يلتفتون إلى أهلهم حق الالتفات ولا يحسنون القيام على شئونهم قيامًا حسنًا، وهذا هو أحد الأسباب فى أن أولاد المشايخ والعلماء والدعاة قَلّ منهم من يتابع مسيرة أبيه.

ـ مؤلفاته:

للشيخ عدد من الكتب منها: «نظرات فى كتاب اشتراكية الإسلام» نقد فيه كتاب الدكتور مصطفى السباعى.

وكتاب «ردود على أباطيل» فى جزأين.

و«حكم الإسلام فى الغناء».

و«حكم اللحية فى الإسلام».

وكتاب فى تحريم نكاح المتعة.

و«رحمة الإسلام للنساء».



«وحكم الإسلام فى مصافحة المرأة الأجنبية» وغير ذلك رحمه الله تعالى.

ـ شعره:

كان الشيخ -رحمه الله- شاعرًا موهوبًا له شعر جيد وأخوه بدر الدين شاعر جيد، كان له شعر جهادى قوى أيام الفرنسيين، واشتهر بقصائده الوطنية:

ومن شعر الشيخ:

آهًا على وادى حـمـا	ة إذا نسيم الصبح هبّا
آها على تلك الربو	ع وأهلها بعدًا وقربا
النهر يخترق الريا	ض وقد جرى حلوًا وعذبا
دولابه يبكى ويسـ	قى الدمع فاكهة وأبّا
أنّى أرى ذاك الحمى	إنى رأيت البُعد صعبا

وقال -فى قصيدة- عندما خرج من مصر وانتهى من الدراسة النظامية فيها:

ذُبت يا مصر مُذ عزمت رحيلا	ولو استطعتُ عشتُ فيكِ طويلا

وقال أيضًا:

ياعين جُودى بدمع منك مدرارِ	على زمان مضى والأهل والدارِ
أيام أرتع فى ظل النعيم ومن	طيب حسرة قد قضيت أوطارى

فإن ذكرت الحمى حَنّ الفؤاد له   إذ فى المصائب قد قضيت أسفارى

لكن الشيخ على كثرة أشعاره آثر العلم على الشعر، وقد كتب فى هذا الأمر رسالة إلى بعض تلاميذه يقول فيها:

«يابنى لأَن تكون عالمًا فقيهًا خير لك وللأمة من أن تكون شاعرًا أديبًا، إننا إلى أن يكون منك عالم محقق أَحْوَجُ منا أن ينشأ منك شاعر مُفْلق.. لا بأس بقليل منه يُنظم فى الأغراض الشريفة والمقاصد الحسنة، أما انصراف الهمة إليه فخسرانٌ أَرْبأُ بك عنه.. ».

ـ وفاته:

توفى فى حماة سنة ١٣٨٩/ ١٩٦٩ عن قرابة ستين سنة -رحمه الله تعالى- على أثر مرض فى الكبد لم يمهله طويلاً، وكانت جنازته حافلة.

وكان قد تعالج فى بيروت قبل أسابيع من وفاته لكن ذلك لم ينفعه، رحمه الله تعالى ونفع بعلمه.

ومن عجائبه فى مرضه أنه لم يكن يقبل أن يُنقل إليه دم إلا أن يكون دم رجل صالح، ويقول: «لا أحب أن يخالط دمى إلا دم مؤمن ركع لله وسجد».

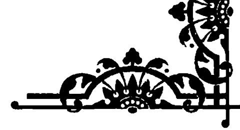


[٣]

رائد التجديد الشامى

طاهر الجزائرى

[١٢٦٨/١٣٣٨هـ][١٨٥٢/١٩٢٠م]





عاش الشيخ -رحمه الله- فى زمن عصيب، فقد كانت الأمة الإسلامية فى إدبار وتراجع، وكثير من ديار الإسلام فى يد الكافرين يعبثون بثرواتها ويغيرون من عقائد أهلها وأخلاقهم، وليس هنالك كبير أمل فى العودة إلى السيادة والعز والتمكين، فى تلك الأحوال الصعبة والدياجير المظلمة عاش الشيخ طاهر الجزائرى، وحاول أن يصلح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وطرق أبوابًا عدة لكنه لم يجد على الخير أعوانًا كما وصف النبى ﷺ أهل الحق فى آخر الزمان.

ولد فى دمشق سنة ١٢٦٨/ ١٨٥٢، وأصله من الجزائر من قبيلة سمعون التى كانت تقيم فى منطقة القبائل، وكان والده صالح بن أحمد السمعونى من قضاة الجزائر المالكية، فخرج من الجزائر إلى دمشق واستقر فيها وأصبح مفتيًا للمالكية، وذلك سنة ١٢٦٣/ ١٨٤٧ أى بعد احتلال فرنسا للجزائر بسبعة عشر عامًا تقريبًا، وكان ذلك بسبب توقف ثورة عبدالقادر الجزائرى ونفيه، فهاجر هو ومجموعة من مشايخ الجزائر فى سنة عُرفت بسنة هجرة المشايخ.

درس الشيخ طاهر فى المدرسة «الجُقْمُقِية» مبادئ العلوم المختلفة، وأتقن العربية والفارسية والتركية وكان ينظم بهذه اللغات الثلاث الشعر، وتعلم الفرنسية والسُّريانية والعبرانية والحبشية والبربرية!!

أما العربية فقد أتقنها حتى كان يوصف بأنه «لسان العرب وخزانة الأدب».



وكان له شيخ اسمه عبدالغنى الميدانى قد أثر فيه تأثيرًا عميقًا، وأبعده عن التعلق بالخرافات.

- وظائفه:

- درّس فى المدرسة الظاهرية الابتدائية.

- كان عضوًا فى الجمعية الخيرية التى أسسها هو وعلاء الدين عابدين وبهاء بك مكتوبجى سنة ١٢٩٤ التى أصبحت «ديوان معارف» فى عهد الوالى مدحت باشا، وهى جمعية تُعنى بنشر العلم، وترميم المدارس والمساجد، ومقاومة النشاط التنصيرى.

- عُين مفتشًا عامّاً على المدارس الابتدائية سنة ١٢٩٥، ثم مفتشًا عامّاً للمعارف فى ولاية سورية فتعهد المدرسين بالنصح والتوجيه، وبذل جهودًا كبيرة فى سبيل إصلاح التعليم.

- عُين سنة ١٨٩٨/١٣١٦ مفتشًا على دور الكتب العامة فى ولاية سورية ومتصرفية القدس.

- عُين عضوًا فى المجمع العلمى العربى بدمشق.

- حلقة دمشق الكبرى:

كان الشيخ طاهر يعقد حلقة فكرية كبرى كل يوم جمعة بعد الصلاة فى منزل رفيق العظم، ويحضرها كبار المفكرين والمصلحين مثل جمال الدين القاسمى العالم المفسر المشهور، ورئيس علماء الشام سليم البخارى، وعبدالرزاق البيطار العالم المشهور صاحب «حِلْية البشر فى تاريخ القرن



الثالث عشر»، ومنهم الدكتور عبدالرحمن الشهبندر، ومنهم سليم الجزائرى ابن أخيه، ومحمد كرد على وغيرهم، وكان يثير فى الحلقة قضايا الإصلاح والنهضة والأخذ بالصالح من الحضارة الغربية، ودراسة التاريخ والتراث، واللغة العربية وآدابها، والدعوة إلى التمسك بمحاسن الأخلاق.

ـ لكن الشيخ طاهرًا لم يستطع أن يوسع من هذه الحلقة ليجعلها بداية حقيقية لنهضة شاملة من بعده؛ أو لتكون الصلة بين المفكرين والمصلحين والمثقفين وبين سائر طبقات الشاميين، ولعل مَرَدّ ذلك إلى شدة وطأة الحكم الاستبدادى على الشاميين خاصة من قبل الاتحاديين الملاحدة الذين أمسكوا بزمام الدولة العثمانية بعد السلطان عبدالحميد، ومَرَدّ ذلك أيضًا أن البلاد لم تكد تستفيق من الحرب العالمية الأولى إلا لتجد نفسها فى براثن الاحتلال الفرنسى.

وقال الأمير الشهابى فى هذه الحلقة:

«فى تلك المدة التى قضاها الشيخ طاهر الجزائرى بالشام كان يتحلق حوله فى دمشق صفوة من المتعلمين والنبهاء والمفكرين العرب فتألف من جمعهم أكبر حلقة أدبية وثقافية، كانت تدعو إلى تعليم العلوم العصرية ومدارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمى وآداب اللغة العربية والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينية، والأخذ بالصالح من المدنية الغربية».

ـ أفكاره وأعماله فى الإصلاح:

كان للشيخ -رحمه الله تعالى- يد طولى فى الإصلاح، وكان يرى التدرج فيه، فمن أقواله فى هذا الباب:

«الإصلاح -على اختلاف أنواعه- لا بد أن يكون على سبيل التدرج؛ لأن ما يأتى على جناح السرعة لا يلبث أن يرجع من حيث أتى».

وقال: «إن هذه الطريق يطول أمرها ولكن يؤمن فيها العِثار والسلامة محققة».

● ومن أهم ما وضعه من قواعد إصلاحية وقام عليها بنفسه ما يلى:

١ - التعليم:

وقد فتح فى ذلك المدارس وألف الكتب التعليمية كما سيأتى، وكان يرى أن التعليم هو الأساس للإصلاح، وهذا حق فقد كان الجهل فى أيامه منتشرًا انتشارًا عجيبًا.

وباشر التعليم بنفسه فقد كان مدرسًا فى المدرسة الظاهرية الابتدائية وهو فى السادسة والعشرين من عمره.

٢ - الاهتمام باللغة العربية:

وقد استطاع أن يقنع الوالى العثمانى بتعليم العلوم باللغة العربية، لكن بعد عزل الوالى عاد التعليم بالتركية.

وألف بعض الكتب لتعليم العربية.

٣- الاهتمام بالعلوم العصرية:

كان الشيخ معروفًا بحبه لأخذ النافع من العلوم والفنون الغربية، وفى هذا يقول تلميذه المقرب محمد كرد على:



«اتسع صدر الشيخ لجماع علوم المدنية الحديثة إلا الموسيقى والتمثيل فلم يكن له حظ فيهما[1] . . . وسياسة الشيخ فى التعليم محصورة فى تلقف المسلمين أصول دينهم والاحتفاظ بمقدساتهم وعاداتهم الطيبة وأخلاقهم القديمة القويمة، وأن يفتحوا قلوبهم لعامة علوم الأوائل والأواخر من فلسفة وطبيعة واجتماع على اختلاف ضروبها».

وقد أرسل رسالة إلى تلميذه محمد كرد على بيّن فيها منهجه المعتدل فى هذه المسألة فقال:

«إن الاقتباس من الأمم المترقية دليل على النباهة، لا كما يظن البُله من أن فى الاقتباس غضاضة، ونريد بالاقتباس ما يُشعر به اللفظ من تلقى الأمور النافعة، لا كما يظن بعضهم من أن الأمم الراقية ينبغى أن يؤخذ منها كل شيء، حتى أدى بهم الأمر أن يقلدوهم فى الأمور التى يودون هم أن يخلصوا منها».

٤- الصلة بالمستشرقين:

كان الشيخ على صلة ببعض المستشرقين، وكانوا يسألونه عن بعض القضايا المتعلقة بأبحاثهم، وكان بينه وبين بعضهم صداقة مثل جولد زيهر اليهودى المجرى، ومرجليوث اليهودى الإنجليزى، لكن لابد من ذكر أن الشيخ -رحمه الله- كان ذا دين ووعى يحميانه من شبهات المستشرقين، وكان متنبهًا إلى ألاعيبهم ومؤامراتهم وكيدهم، إلى حدٍ ما، لكن بعض تلاميذه لم يكونوا كذلك فافتقدت علاقتهم بالمستشرقين التوازن المطلوب

(١) وهذا من فضل الله عليه وعنايته به.



الذى كان سِمة من سمات الشيخ طاهر -رحمه الله تعالى- فظهر هذا النقص فى بعض أعمالهم وأفكارهم، حتى إن بعض أولئك التلاميذ كان يدعو إلى فصل الدين عن الدولة أى «العلمانية» ويؤيد ذلك بقوة!!

٥- إصلاح العادات ومحاربة الخرافات والخزعبلات:

ومن أجل ذلك كان ينسخ كتب المصلحين ويبيعها بثمن زهيد فى سوق الوراقين، فعل ذلك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأبى شامة وغيرهم، رحمة الله تعالى عليهم.

٦- الاهتمام بالصحافة والأدب:

وكان يشجع على إنشاء الصحف السياسية، والاجتماعية، والمجلات العلمية والأدبية.

٧- نشر الكتب المفيدة:

ومن أجل ذلك تعلم كثيرًا من اللغات والخطوط القديمة ليتسنى له دراسة الآثار.

وعنى بجمع المخطوطات منذ كان عمره سبع سنوات فاجتمعت له آلاف الكتب والمخطوطات النادرة.

قال تلميذه محمد سعيد البانى:

«لا أعلم أن أحدًا من معاصرى فقيدنا أحاط بمعرفة الكتب المدونة بلسان العرب مثل إحاطته، فما من كتاب مخطوط أو مطبوع إلا وقد اطلع عليه، أو عرف عنه شيئًا فى الجملة، فقد كان -رحمه الله- معجم كتب سيّار



يضارع: «كشف الظنون» أو «فهرست ابن النديم»، فكم من كتب دفينة كالركاز أرشد إليها، وكم من كتب برزت إلى عالم الطباعة بدلالته وهديه».

٨- إصلاح السياسة:

كان الشيخ يعادى الأتراك خاصة الذين تحكموا فى بلاد الشام وجهّلوها وحاربوا المفكرين والمصلحين فيها، وقد تخوف منه الأتراك فعزلوه من بعض وظائفه التى يشرف فيها على الطلاب فى بلاد الشام، لئلا تؤثر فيهم أفكاره الإصلاحية التى كان الأتراك يرون فيها خطورة على مصالحهم آنذاك؛ وفتشوا بيته مرارًا، وحامت حوله الظنون، وأُحيط بالعيون، حتى اضطر إلى مغادرة الشام إلى مصر.

وكان يكره حكم السلطان عبدالحميد -كحال أكثر مفكرى الشام آنذاك- لكنه كره مَن جاء بعده أكثر.

قال تلميذه الأستاذ محمد سعيد البانى موضحًا موقف الشيخ طاهر من جماعة الاتحاد والترقى التى سيطرت على الدولة العثمانية بعد عزل السلطان عبدالحميد:

«بعد سقوط السلطان عبدالحميد، وبينما كنا مبتهجين بهذا الانقلاب السعيد!![1] ثَمِلين بخمرة الحرية نقدس أبطالها، نقيم الحفلة بعد الحفلة أخبرنا بعض القادمين من مصر بأن أستاذنا الجزائرى ناقم على هذه الحال،

(١) كان معظم المثقفين والمفكرين السوريين ضد السلطان عبدالحميد؛ وذلك لأن اليهود والاتحاديين شوهوا صورته، ووصموه بأسوأ الصفات.

غير راضٍ عن جمعية الاتحاد والترقى، إذ قال: ما هذا الانقلاب الخَلاّب إلا انتقال من نِير استبداد الفرد إلى نِير استبداد الجماعات، وقد استغربنا هذا عن شيخنا، ومن ثَمّ ثبت لنا أنا كنا مخطئين بحسن الظن بالاتحاديين، وكنا نعجب بعد ذلك بقوة حدسه وصدق فراسته».

ثم كان الشيخ طاهر أول المطلوبين للإعدام فى مدة جمال باشا السفاح فى بلاد الشام، حيث نصب الاتحاديون المشانق لكل من كان ينادى بالإصلاح والحرية على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم، لكنه نجا فقد كان فى مصر -آنذاك- وأُعدم مجموعة منهم سليم بيك الجزائرى ابن أخيه، وقد كان أحد أركان حرب الجيش العثمانى.

وكان الشيخ يحسن الظن بالإنجليز -للأسف- ويرى أنهم مشاعل حضارة!! لذلك اتصل بامرأة تُدعى «مِسْ بِلْ»، وكانت أمينة سر حاكم العراق لما سقط بأيدى الإنجليز، وطلب منها إحسان معاملة العراقيين!! ولذلك كله فرح بالثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين سنة ١٩١٦ بمساعدة الإنجليز، ولما دخل فيصل بن الحسين دمشق دعا إلى مناصرة الثورة والوقوف بجانبها، وهذا كله وقع فيه الشيخ لحبه الشديد للإصلاح، وضعف تقديره لخطورة الإنجليز وخداعهم المسلمين.

- جهوده:

- ألف الشيخ كتب التدريس للمرحلة الابتدائية فى جميع فروعها آنذاك، فمنها «مدخل الطلاب إلى علم الحساب»، و«رسالة فى النحو»، و«مُنية الأذكياء فى قصص الأنبياء»، و«الفوائد الجسام فى معرفة خواص



الأجسام»، و«إرشاد الألبّاء إلى تعليم ألف باء» وغيرها، وهذا يدل على سعة علم الشيخ رحمه الله تعالى.

- كان يدعو الأكفاء لإنشاء المجلات العلمية والأدبية والصحف السياسية والاجتماعية.

- وكان له عناية جليلة بالتاريخ والآثار وإحياء التراث.

- فتح تسع مدارس فى مدينة دمشق، منها اثنتان للبنات.

- أنشأ المكتبة الظاهرية فى دمشق، وهى من أشهر المكتبات العربية، وتسمى الآن مكتبة الأسد، ثم عُين مديراً لها بعد ذلك.

وقد جمع فى المكتبة كثيراً من الكتب التى تفرقت فى الجوامع والمدارس، حتى أنه هُدد بالقتل من قبل أولئك المستفيدين من نهب هذه الكتب، وصارت بهذا أول مكتبة عامة فى دمشق، وصنع لها الفهارس المفيدة فصار الشيخ بهذا علمًا من أعلام البيلوجرافيا فى العصر الحديث، وكان يشترى للمكتبة كل ما تقع عليه يده من نفائس الكتب والمخطوطات.

وأسس مكتبات عامة فى حماة وحمص وطرابلس الشام.

- وأنشأ المكتبة الخالدية فى القدس بمساعدة آل الخالدى، عجل الله برجوعها.

أنشأ مطبعة حكومية لتطبع المؤلفات العامة والكتب المدرسية.

- انتقاله للقاهرة:

كان لأنشطة الشيخ المتنوعة ولأفكاره المنوِّرة أثر ظاهر فى أهل دمشق، فأثار هذا حفيظة رجال الأمن الذين لا يفهمون مغزى هذه الأعمال وأثرها



الجليل فضيقوا الخناق عليه، وهجموا على بيته وعاثوا فيه فسادًا فتوارى عن الأنظار، ثم آثر الانتقال إلى مصر التى وصلها سنة ١٣٢٥/ ١٩٠٧، وسكن فيها فى بيت صغير فى حى عابدين، واجتنب الناس إلا بعض العلماء الذين كانوا يترددون عليه ليستفيدوا منه.

وفى القاهرة قضى وقته فى التأليف والبحث، وشارك فى تحرير بعض الصحف، وكانت له مراسلات مع المستشرقين.

وكان قد رفض عرضًا للتوظف فى دار الكتب، وعاش فى مصر زاهدًا مكتفيًا بالقليل.

وظل فى القاهرة ثلاثة عشر عامًا حتى سقطت الدولة العثمانية فى آخر الحرب العالمية الأولى وقامت الدولة العربية فيها وملكها فيصل بن الحسين، فعاد إلى دمشق سنة ١٣٣٧/ ١٩١٩، وعُين مديرًا لدار الكتب الظاهرية التى أسسها، وعضوًا فى المجمع العلمى العربى بدمشق.

ـ صفاته:

كان الشيخ يسافر بين الفينة والأخرى إلى بعض البلاد الأوربية والعثمانية فاتسع أفقه وكثرت معارفه.

ـ ولم يتزوج الشيخ فتيسر له وقت طويل لم يتيسر لكثير من أقرانه، ممن أثقلهم الأهل والأولاد وطلب المعيشة.

ـ وكان زاهدًا يرضى بالقليل، يقضى ليله بالمطالعة من مصباح زيتى، وكان يضع قدره التى يطبخ فيها طعامه فوق المصباح بحيث تُنضج الطعام فى عدة ساعات!!



وكان يؤثر الفقراء والمساكين على نفسه ويتصدق عليهم سراً، وربما يبيت الليلة والليلتين جائعًا لأنه تصدق بكل ما لديه من طعام إلى جائع لقيه.

ـ وكان الشيخ على قدم الجزائريين الذين عُرفوا بحدة الطبع وكراهية المجاملة والنفاق والمحاباة.

ولم يُعرف عنه مخالطة الظلمة، ولم يصحب غنياً للانتفاع بماله، وكان يؤثر الخمول وعدم الظهور.

وكان يكره الغيبة ويحارب البدع والخرافات.

وكان محافظًا على وقته يغضب ممن يخلف موعده معه.

وكان لأجل إرادته الحفاظ على وقته لا يهتم بمظهره، وكان يأكل مما يحمله فى جيبه من الكعك أو الخبز وهو فى طريقه إلى الدرس.

ومن عجائبه فى حفاظه على وقته أنه كان يلبس -إذا سافر- ألبسة داخلية بعضها فوق بعض فكلما اتسخ منها شىء مما يلاصق جسمه رمى به إلى القمامة حتى يتسخ الذى يليه وهكذا دواليك!! وذلك لأنه لا يجد وقتًا لغسله وهكذا حتى تنتهى الطبقات.

ونام مرة عند بعض معارفه وقت القيلولة فرأت زوجه أن جبة الشيخ بحاجة إلى إصلاح فأخذتها وبدأت فى خياطتها، فاستيقظ الشيخ وطلب جبته فأخبره صاحب البيت بأن زوجه ترفوها، فأعجله بطلبها حتى دفعت بها زوجه إليه ولبسها والإبرة والخيط يتدليان منها!!.



ـ وكان قوى الحافظة جداً لا يكاد ينسى ما يقرؤه مهما طال به العهد.

ـ وكان يحب السباحة والمشى ومعرفة الناس، وكان نشيطًا سريع الحركة.

- وكان صاحب همة عجيبة فى السهر، فقد قال تلميذه الأستاذ محمد كرد على:

«ألِف الشيخ مدة أربعين سنة أن يسهر مع أصحابه إلى الهزيع الثانى من الليل، ثم ينقلب إلى منزله يؤلف ويقرأ حتى يصلى الصبح، وينام إلى الظهر».

ـ من مواقف الشيخ رحمه الله تعالى:

ذهب إلى القاهرة فاحتاج إلى المال فباع ما عنده من كتب ومخطوطات لدار الكتب المصرية، ورفض أن يبيعها لمكتبة المتحف البريطانى بضعف الثمن؛ ضناً منه بالتراث الإسلامى أن يقع فى أيدى أعداء الإسلام.

ـ ولما علم الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة «الفتح» المشهورة بحاجة الشيخ شفع له لدى الخديوى عباس حلمى الثانى؛ ليجرى عليه راتبًا من الخزينة الخاصة فرفض الشيخ طاهر هذا العرض بإباء، وغضب غضبًا شديدًا -وكان فيه حدة- فقال الأستاذ محب الدين الخطيب فى هذا: «ظهر لى أننى لا أزال أجهل تلك النفس الكبيرة رغم معرفتى بصاحبها منذ طفولتى؛ فقد غضب الشيخ طاهر من هذه الحادثة غضبًا لم أعهده فيه من قبل».



ـ من الأقوال فى بيان عظمة الشيخ طاهر:

ـ قال فيه المفسر العالم الشيخ جمال الدين القاسمى:

«الشيخ المفيد والمُرَقِّى الوحيد».

ـ وقال فيه الشيخ على الطنطاوى:

«ترك أثرًا من الخير أينما حَلّ، فكان مجلسه حيثما حل مدرسة، ولقاؤه أينما لقيته درس... وكان يعلم بفعله لا بقوله... لم يكن يضيع من وقته لحظة فى عمل غير نافع، ودعا إلى ترك المجاملات والرجوع إلى أخلاق المسلمين الأولين من الصراحة والصدق وقصد الحقائق وترك الأباطيل فكانت حياته كلها كذلك».

وقال فيه أيضًا:

«كان الشيخ طاهر من المؤلفين المكثرين إن عُد المؤلفون المكثرون، وكان من أئمة المربين إن ذكر المربون، وكان من رءوس المصلحين ومن العلماء العاملين، وكان من الأركان الكبار فى هذه النهضة التى نأوى اليوم إليها ونتفيأ ظلالها وننعم بخيراتها».

ـ وقال فيه تلميذه سعيد البانى:

«جمع بين المعقول والمنقول، ومزج القديم بالحديث، أخذ من كل علم لُبابه... فكنت تجد منه العالم الدينى والمدنى والرياضى والطبيعى والسياسى والأديب والمؤرخ والأثرى والاجتماعى والأخلاقى والكاتب



والشاعر، فكان عنده من كل علم خبر فهو دائرة المعارف ومفتاح العلوم وكشاف مصطلحات الفنون وقاموس الأعلام».

- وقال فيه تلميذه الأثير محمد كرد على:

«كان متضلعًا من علوم الشريعة، وتاريخ الملل والنحل، منقطع القرين فى تاريخ العرب والإسلام، وتراجم رجاله... وكان إمامًا فى علوم اللغة والأدب... إنه خزانة علوم متنقلة».

ومن أجمع ما قيل فيه قول تلميذه محمد كرد على:

«لولا ما قام به من التذرع بجميع ذرائع الإصلاح لتأخرت نهضة المسلمين فى بلاد الشام أكثر من نصف قرن».

وقال فيه شيخ العروبة صديقه أحمد زكى باشا:

«كنت أرى فيه الأثر الباقى والمثال الحى، والصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح، من حيث الجمع بين الرواية والدراية فى كل المعارف الإسلامية، وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص».

وقال فيه الأستاذ أنور الجندى رحمهما الله تعالى:

«والحق أن الشيخ طاهر الجزائرى العملاق لم يكن قوىّ الأثر فى هذه المجموعة من رجال الشام وحدها ولكنه كان عميق الأثر فى المجموعة التى عرفها وعاشرها فى القاهرة خلال حوالى أربعة عشر عامًا أقامها فى مصر، وقد ألهب وجدان من عاشره وخاصة الأحمدين أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا الملقب بشيخ العروبة ليس بأسلوبه وحديثه فحَسْبُ ولكنه بأسلوب عيشه ونظام حياته».



ـ مؤلفاته:

للشيخ -رحمه الله تعالى- كتب كثيرة تبلغ أربعين، منها:

«الجواهر الكلامية فى العقائد الإسلامية» و كان على عقيدة السلف، رحمه الله تعالى.

«التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن».

«توجيه النظر إلى أصول الأثر».

«تفسير القرآن الحكيم».

«مختصر أدب الكاتب» لابن قتيبة، وقد طبع بمصر.

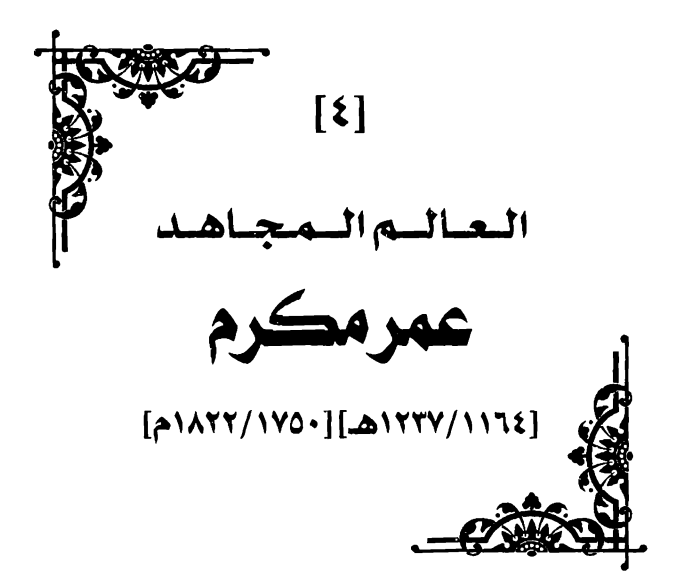
«مختصر البيان والتبيين» للجاحظ، وهو مطبوع.

ـ أما أفضل أعماله فهو كتاب مخطوط فى عشرين مجلدًا يبحث فى نوادر المخطوطات، ومحال وجودها ومزاياها سماه «التذكرة الطاهرية».

ـ وفاته:

توفى -رحمه الله تعالى- سنة ١٣٣٨/ ١٩٢٠ بعدما اشتد به المرض، ودفن فى سفح جبل فاسيون كما وَصّى.





[٤]

العالم المجاهد

عمر مكرم

[١١٦٤/١٢٣٧هـ] [١٧٥٠/١٨٢٢م]

هناك مئات الآلاف من العلماء على مدار تاريخ الإسلام، لكن قليلاً من هؤلاء من كان يحمل هموم أمته وآلام شعبه، ويجاهد فى سبيل الله، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحتسب على الحكام، ومن هؤلاء القليل كان الشيخ الفاضل العالم نقيب الأشراف عمر مكرم.

عاش -رحمه الله تعالى- فى زمن الإدبار وذهاب هيبة الأمة الإسلامية، وتربص أعدائها بها الدوائر، وكانت الدولة العثمانية آنذاك فى طور الانحدار، فلم تستطع أن تصنع كبير شىء مع المكايد التى كانت تترى عليها فى كل وقت، والمؤامرات التى تحيط بها من كل جانب، فى تلك المدة المظلمة عاش سماحة الشيخ المجاهد عمر مكرم بن حسين السيوطى.

ولد سنة ١١٦٤/ ١٧٥٠ فى أسيوط، من أسرة شريفة النسب، تنتهى إلى الأدارسة، وانتقل إلى القاهرة للدراسة فى الأزهر، وعُنى بالفقه، وتخرج فى الأزهر، واقتنى مكتبة كبيرة ما زال جزء منها محفوظًا فى دار الكتب المصرية باسمه، لكنه لم يشتغل بتأليف الكتب ولا بالدروس؛ لأنه كان بطبعه ميالاً إلى المشاركة فى الشأن العام وسياسة الشعب والاهتمام بأمور المجتمع المصرى.

بداية ظهور السيد وعلو شأنه:

وكانت بداية بروز السيد عمر مكرم لما اختل الأمر فى الديار المصرية بوقوع التنازع بين أمراء المماليك وتسابقهم فى ظلم الشعب، فأرسلت الدولة



العثمانية حسن باشا الجزائرلى لتأديب المماليك خاصة الأميرين مرادًا وإبراهيم اللذين فَرّا إلى الصعيد، فلما عاد حسن باشا إلى بلاده سنة ١٢٠٥/ ١٧٩١ توسط الأميران لدى الحكومة العثمانية فى القاهرة ليعودا إليها، وكان رسولهما فى هذا هو السيد عمر مكرم لصداقة بينهم، فنجح فى مهمته وعاد الأميران للحكم.

وبعد ثلاث سنوات من هذه الحادثة توفى السيد محمد البكرى نقيب الأشراف وشيخ السادة البكرية ولم يكن له عقب، فأسند الأميران نقابة الأشراف إلى السيد عمر مكرم عرفانًا بالجميل ووفاءً له، وكان ذلك سنة ١٢٠٨/ ١٧٩٣، وكان هذا بداية ظهوره فى المجتمع المصرى.

ثم عظم شأنه بعد ذلك؛ إذ إن الأميرين عادا إلى سيرتهما القبيحة وظلمهما للشعب، فثار الشعب المصرى عليهما سنة ١٢٠٩/ ١٧٩٥ وكادت تحدث فتنة فاجتمع الأمراء والباشا التركى فى بيت الأمير إبراهيم، وتعهد الأميران مراد وإبراهيم وسائر الأمراء بكف أيديهم عن الشعب وتحرى العدل ورفع المظالم وصرف الأموال إلى مستحقيها وإرسال مخصصات الحرمين، ورفع الضرائب المستحدثة وأن يسيروا فى الحكم سيرة حسنة، وكُتبت وثيقة بذلك وخُتمت من قِبَل الأميرين، ومن الباشا التركى، وكان السيد عمر مكرم ممن اشترك فى كتابة هذه الوثيقة، وهذا مما رفع من مكانته بين قومه.

السيد عمر مكرم والحملة الفرنسية على مصر:

ولما احتل الفرنسيون مصر سنة ١٢١٣/ ١٧٩٩ هرب الأميران مراد وإبراهيم بعد معركة قصيرة مع الفرنسيين وتركا الشعب المصرى لمصيره،



وهنا نادى السيد عمر مكرم فى المصريين بالجهاد، وصعد إلى القلعة ونشر علمًا كبيرًا كان يُسمى «البيرق النبوى» ونزل من القلعة إلى بولاق -وكان حيّاً فى أطراف القاهرة آنذاك- والناس حوله ألوف مؤلفة يحملون العصى والنبابيت، وهم يهللون ويكبرون وقد امتلأوا حماسة وحبّاً للجهاد، لكن ما الذى تغنيه قوتهم وعتادهم الضعيف أمام أسلحة الفرنسيين الحديثة خاصة أن جيش المماليك قد هُزم ولاذ بالفرار؟!

وهنا رأى المشايخ مثل الشرقاوى شيخ الأزهر، والشيخ السادات أن يستسلموا ويسلموا البلد للفرنسيين، لكن عمر مكرم رفض أن يدخل القاهرة وآثر أن يصحب جيش إبراهيم بك فى تقهقره إلى الشمال نحو المنصورة، ثم إلى سيناء فالشام وجيش الفرنسيين يتبعهم.

ثم لجأ عمر مكرم إلى يافا وبقى فيها حتى فتحها نابليون، الذى حرص على إكرامه وإعادته إلى مصر عن طريق دمياط، ودخل القاهرة بعد غياب ثمانية أشهر فلم يشهد ثورة المصريين الأولى على الفرنسيين التى وقعت بعد ثلاثة أشهر من الاحتلال إنما شهد الثورة الثانية.

ولما عاد إلى مصر رفض أن يشترك فى ديوان الحكم الذى أقامه الفرنسيون لتسيير أمور المصريين، ولم يطلب استرجاع مكانه فى نقابة الأشراف ولا فى نظارة الأوقاف اللتين كان يديرهما من قبل، ولم يرضَ أن يطلب من الفرنسيين أن يردوا له أملاكه التى صادروها عزةً وأنفةً ورفضًا للاحتلال.



ثورة القاهرة الثانية على الفرنسيين:

فى ٢٣ شوال سنة ١٢١٤/ مارس ١٨٠٠ ثار المصريون على الفرنسيين ثورتهم الثانية -ولها قصة يطول ذكرها- وقصد الشعب السيد عمر مكرم ينادونه ويهتفون باسمه، فلم يخيب ظنهم وسارع بالنزول إلى الشوارع، وقاد الثورة الشعبية ومعه بعض الأمراء والكبراء والشجعان، وأمر أهل القاهرة ببذل الأموال فسارعوا لتلبية أمره، وتحرك السيد عمر مكرم من شارع إلى آخر، ومن موقع إلى موقع يحمس الناس ويثبتهم ويشد من عزيمتهم.

ولما وقع الصلح أخرج الفرنسيون بقايا عسكر الترك من مصر وأباحوا لمن أراد من المصريين أن يخرج معهم، فخرج السيد عمر فيمن خرج مؤثرًا الغربة وتحمل المشاق على البقاء فى بلاده وهى محتلة، وذلك هو خروجه الثانى، فى أول ذى الحجة سنة ١٢١٤/ ٢٥ إبريل ١٨٠٠، بعد ٣٧ يومًا من الجهاد وإغلاق أبواب القاهرة فى وجه الفرنسيين الذين دكوها بالقنابل من القلاع المشرفة عليها.

ولما خرج السيد عمر من مصر إلى الشام نُهب بيته كما نُهبت بيوت سائر الأمراء الذين آثروا الخروج على البقاء.

ثم لما رجع الجيش العثمانى إلى مصر بمعونة الإنجليز لطرد الفرنسيين منها رجع معهم السيد عمر مكرم، واستقبلته القاهرة استقبالاً حافلاً، وصار رجل مصر وزعيمها الشعبى، وعادت إليه زعامة نقابة الأشراف.



عمر مكرم يُنَصِّب محمد على حاكمًا على مصر:

لما خرج الفرنسيون من مـصر سنة ١٢١٥/ ١٨٠١ عاد أمراء المماليك إلى عادتهم المذمومة فى ظلم الناس واضطهادهم، وصاروا بحيث يقاتل بعضهم بعضًـا، وكان فى مصـر والٍ عثمانى اسـمه أحمـد خورشيـد باشا لكنه لم يستطع ضبط الأمـور، وكان محمد على رئيسًا لجند الأرناؤوط «الألبان»، وكان بين الأرناؤوط والممـاليك نزاع، وبينهمـا وبين الوالى التركى وجيـشه نـزاع، وحدثت حـوادث يطول ذكرها، لكن العلمـاء وعلى رأسهم السـيد عمر مكرم رأوا أن أفـضل من يلى حكم مصر هو محـمد على لما رأوا من هدوئه وحـسن ضبطه للأمـور ودهائه وقوته، فـاستـقر رأى العلمـاء على تنصيب مـحمد على حـاكمًا على مـصر، فدخل عليـه السيد عـمر مكرم والشيخ الشرقاوى وعرضا عليه ما اتفـقوا عليه فتردد محمد على ثم وافق، فـألبـسـاه لبـاس الحـاكم آنذاك، وبايعـاه نـيـابة عن الشـعـب فى سنة ١٢٢٠/ ١٨٠٥، وكانت هذه الحـادثة فريدة فى تاريخ مصـر لم تتكرر قبل ذلك أو بعده فيما أعلم.

ولم يقبـل الوالى أحمد خورشيد هذا الذى جـرى لكنه أُجبر عليه إجبارًا بعد حوادث يطول ذكـرها، وتصدر السيد عـمر فى هذه الحوادث كلهـا، ومما يظهر عمق فـهم السيد عـمر وثقته بما صـنع ما جرى بينه وبين رسـول الوالى التركى أحمد خورشيد الذى أرسله ليناقش السيد عمر فيما صنعه فقال له الرسول:

- كـيـف تثـورون على مَن ولاه السلطان عليكـم وقد قـال الله تعـالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

- فقال له السيد عمـر: اعلم أن أولى الأمر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العـادل، وهذا الحـاكم الذى أرسلكم مـا هو إلا رجل ظالم. . . وقد كـان لأهل مـصر دائمًـا الحق فى أن يعزلوا الوالى إذا أسـاء ولم يرضَ الناس عنه. . . إن السلطان أو الخليفـة نفسه إذا سار فى الناس سـيرة الجور والظلم كان لهم خلعه وعزله.

- فقال الرسول: وكـيف يجوز لكم حصارنا ومعاملتنـا معاملة الخوارج الكفرة؟

- فقال السيد عمر: إننا نقاتلكم لأنكم عصاة قد خرجتم على الحق. . .

ومن هذه المناقشة يتبين عظم مكانة السيد عمر وطاعة الناس له ولجوؤهم إليه.

ثم حدثت حـوادث عديدة كـادت تودى بمحمد على فى بـدايات حكمه، لكن السيـد عمر مكرم استطاع أن يتـجاوز عواقبـها بسلام، واستطاع تثـبيت حكم محمد على لمصر خاصة بعد أن عزلت الدولة العثمانية محمد على بعد سنة تقريبًا من ولايته، وطلبت منه أن يتولى ولاية سلانيك عوضًا عنها، لكن السيد عمر اسـتطاع أن يجمع العلماء والكبراء وكتبوا كتـابًا للسلطان العثمانى يخبرونه بأنهم لا يرضون لحكم مصـر إلا محمد على باشا، ورضخ السلطان لطلبهم بعد حوادث عديدة، وثبت محمد على حاكمًا لمصر.

ولما تولى محمد على حكم مصر بمسـاعدة السيد عمر مكرم عظم شأنه، وقال الجبرتى فى شـأن علوّ مقدار السيد عمر مـكرم أوائل زمن محمد على باشا:

«وارتفع شأن السيد عمر، وزاد أمره بمباشرة الوقائع (أى الحروب) وولاية محمد على باشا، وصار بيده الحل والعقد، والأمر والنهى، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية».

السيد عمر مكرم والحملة الإنجليزية على مصر «حملة فريزر»:

نزل الإنجليز على الشاطئ المصرى سنة ١٢٢٢/١٨٠٧، واحتلوا الإسكندرية، وتحركوا شرقًا لاحتلال بلدة رشيد لأنهم كانوا يريدون سلوك الطريق نفسه الذى سلكته الحملة الفرنسية قبل نزولهم بتسع سنوات تقريبًا، لكن حامية رشيد والأهالى فيها قاوموا أروع المقاومة ووقفوا سدًا منيعًا أمام دخول الإنجليز بلدتهم، وأرسلوا استغاثات للقاهرة لنجدتهم.

ولما رأى عمر مكرم ذلك عمل شيئًا فريدًا رائعًا عبر عنه المؤرخ المصرى الجبرتى بقوله:

«نبّه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتأهب لجهاد الإنجليز، حتى مجاورى الأزهر أمرهم بترك حضور الدروس، وكذلك أمر المشايخ بترك إلقاء الدروس».

وعلق المؤرخ المصرى الرافعى على ذلك بقوله:

«فتأمل دعوة الجهاد التى بثها السيد عمر مكرم والروح التى نفخها فى طبقات الشعب، فإنك لترى هذا الموقف مماثلاً لموقفه عندما دعا الشعب إلى التطوع لقتال الفرنسيين قبل معركة الأهرام، ثم تأمل دعوته الأزهريين إلى المشاركة فى القتال تجد أنه لا ينظر إليهم كرجال علم ودين فحسب بل رجال



جهاد وقتال ودفاع عن الزمان، فعملهم فى ذلك العصر كان أعم وأعظم من عملهم اليوم» وصدق الرافعى والله.

بدايات الجفوة بين السيد عمر مكرم ومحمد على باشا:

وكان محمد على غائبًا فى الصعيد، فلما عاد استأذنه السيد عمر فى الجهاد هو ومن معه فرفض، وأخبره بأن الواجب قد سقط عنهم وأن هذه مسئولية الجيش وأن مسئولية الشعب هى إعداد الأعلاف للدواب التى ستخرج إلى رشيد!! فوجم السيد عمر من هذه الكلمة غير اللائقة، وحملها بغم وهم وعاد أدراجه وهو ضيق الصدر.

ثم فترت العلاقة بين السيد عمر مكرم ومحمد على باشا، وساعد على فتورها أكثر أن محمد على أخذ من المصريين الضرائب الفادحة، وأنزل فيهم من المظالم شيئًا كثيرًا، فغضب عليه السيد عمر مكرم ورأى أنه قد أخَلّ بالشرط الذى أُخذ عليه يوم توليته الحكم وهو: «أن يسير بالعدل، ويقيم الأحكام والشرائع، ويقلع عن المظالم، وألا يفعل أمرًا إلا بمشورة العلماء، وأنه متى خالف الشروط عزلوه»، وبسبب هذا فترت العلاقة بينهما أكثر من ذى قبل، فلم يَعُد السيد عمر يتردد على محمد على باشا كما كان يصنع قبل ذلك.

نفى السيد عمر مكرم:

ثم صار السيد عمر مكرم يجاهر بمعارضة محمد على باشا بين الناس، وأبدى السخط والتذمر من تصرفات محمد على باشا، واستمرت الجفوة بينهما عامين طويلين، حتى حدثت حادثتان ضخمتا الخلاف وصعدتا به إلى درجات خطيرة، وأولاهما أن محمد على باشا كُلف من قِبل الدولة



العثمانية بحرب الوهابيين -كما كانوا يسمونهم- فى نجد فاقتضى هذا منه أن يجمع المال الكثير من الشعب، وثانيهما أن أحد المشايخ سُجن ظلمًا فرأى خواص المشايخ والكبراء وفى مقدمتهم السيد عمر مكرم أن فى هذا مساسًا بالاتفاق مع محمد على باشا وقت تنصيبه واليًا على مصر بأن يسير بالعدل، وأن فى هذا خلافًا للوثيقة التى وُقعت فى بيت الأمير إبراهيم قبل الحملة الفرنسية على مصر ومجىء محمد على حاكمًا بمدة ونصت على السير فى الناس بالعدل، فاجتمعوا فى الأزهر يتذاكرون فى السبل الكفيلة بردع محمد على والعامة حولهم يصيحون ويهمون بالثورة، وخَلُصَ الأمر إلى كتابة وثيقة تُضمن الشكاوى من محمد على وترسل إلى رئيس الديوان ليسلمها إليه، فراع ذلك الاجتماع محمد على، وعلم برئاسة عمر مكرم له فزاده ذلك تغيظًا عليه، وطلب من المشايخ الموقعين على الوثيقة الحضور عنده للمناقشة فذهبوا إلا السيد عمر رفض أن يذهب إليه، ولما ذهب المشايخ صار بعضهم يطعن فى السيد عمر مكرم -للأسف- وقال عنه بعضهم: «ما هو إلا صاحب حرفة أو جابى وقف يجمع الإيراد ويصرفه على المستحقين، وليس له قدر إلا بمؤازرتنا، فإذا نحن تخلينا عنه لم يكن له بعد انصرافنا قدر ولا خطر» وهكذا يفعل الحسد والتنازع، وبهذا الموقف الذى استغله محمد على ضُرب أول إسْفين «مِعْول» بين المشايخ وتراجع قدرهم بعد ذلك فلم يستطيعوا استعادة هيبتهم إلى يوم الناس هذا، واستطاع محمد على أن يقلم أظافرهم جميعًا بعد خذلانهم السيد عمر مكرم، ونقض اتفاقهم معه الذى كان فى الأزهر، كما ذكرتُ آنفًا.



وتشدد الشيخ عمر في موقفه بعد ذلك وصار يجهر بعدائه لمحمد على ويقول:

«كما أصعدته للحكم فإنى قدير على إنزاله منه»!!

والتمس محمد على رضا السيد عمر بكل طريقة، حتى إنه حاول أن يهديه الأموال الكثيرة ورجاه أن يعدل عن طريقته، لكن السيد عمر مكرم يرفض أن يتنازل عن موقفه إلا بعد أن يعلن محمد على عن توقفه عن جباية الضرائب بحسب إرادته ومشيئته دون الرجوع إلى زعماء الشعب.

وبينما الأمر على ذلك حدثت حادثة كانت القشة التى قصمت ظهر البعير، وهى أن محمد على أعدّ «كشف حساب» ليرسله إلى الدولة العثمانية ليبين لها أنه صرف الأموال التى جباها من الشعب بناء على أوامر قديمة منها منذ أن كان الصدر الأعظم -رئيس وزراء الدولة العثمانية- يوسف باشا فى مصر زمن خروج الفرنسيين منها، وطلب من المشايخ التوقيع على كشف الحساب فقبلوا ورفض السيد عمر مكرم وبرر رفضه بأن الضرائب المعتادة كانت كافية لكل ما قام به محمد على من الأعمال العامة، وأنه لا يستطيع أن يشهد إلا بالحق الذى يعتقده وهو أن الضرائب التى فرضها محمد على زائدة على ما كان من قبل لا داعى لها، فغضب محمد على وطلب اجتماع المشايخ فحضروا إلا السيد عمر وهناك أعلن خلعه من نقابة الأشراف ونفيه إلى دمياط، وكان ذلك سنة ١٢٢٤/١٨٠٩، فامتثل للأمر، وللأسف فإن جماعة من العلماء قاموا بكتابة محضر إلى الدولة العثمانية يدافعون عن نفى محمد على باشا السيد عمر مكرم واتهموه



باتهامات غير صحيحة، لكنهم بعد نفيه ذاقوا وبال صنيعهم، وصدق قول الجبرتى فيهم وفى السيد عمر: «كان ظلاً ظليلاً عليهم وعلى أهل البلد يدافع عنهم، ولم يزالوا بعده فى انحطاط».

وقضى السيد عمر مكرم قرابة ثلاث سنوات فى دمياط بنى فيها نزلاً لنزول التجار الذين كانوا يقصدون ميناءها من سائر البلدان، ثم تحول إلى طنطا فبقى فيها خمس سنوات تقريبًا، إلى أن عفا عنه محمد على وأعاده إلى القاهرة بعد أن طلب السيد عمر منه أن يحج، ثم أرسل له محمد على خطابًا لطيفًا قال له فيه:

«إلى مطهر الشمائل سَنِيِّها، حميدَ الشئون وسميّها، سلالة بيت المجد الأكرم والدنا السيد عمر مكرم دام شأنه أما بعد:

قد بلَّغنا نجلكم عن طلبكم الإذن فى الحج إلى البيت الحرام وزيارة روضته -عليه الصلاة والسلام- للرغبة فى ذلك، والترجى لما هنالك، وقد أذنّا لكم فى هذا المرام؛ تقربًا لذى الجلال والإكرام، ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام، فلا تَدَعوا الابتهال، ولا الدعاء لنا بالقال والحال، كما هو الظن فى الطاهرين والمأمول من الأصفياء المقبولين...».

وعاد السيد عمر إلى القاهرة التى ارتجت فرحًا بمقدمه، وخرج عامة الشعب إلى بولاق لتحيته، بعد تسع سنوات من نفيه.

نفى السيد عمر مرة أخرى!!

وبعد ثلاث سنوات من عودة السيد عمر من المنفى حدثت حادثة استدعت إعادة نفيه، وهى أن الدولة العثمانية طلبت من محمد على تموين



بعض سفنها التى تحارب اليونانيين فى جزيرة كريت وذلك سنة ١٢٣٧/ ١٨٢٢ فاضطر محمد على لفرض ضرائب على الشعب الذى هاج وماج، وهتف باسم السيد عمر مكرم الذى لم يكن قادرًا على الاستجابة لطلبهم لكبر سنه وضعف قوته، لكن محمد على خاف من تجدد الفتن فبادر بنفيه إلى طنطا، لكنه لم يبقَ فى منفاه طويلاً؛ إذ توفى فى السنة نفسها عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن فى قرافة القاهرة رحمه الله تعالى وغفر له.

وبتنحية السيد عمر مكرم تنتهى مرحلة من أهم مراحل مصر الحديثة، ويُجهض عمل من أهم الأعمال التى مَرّت على ديار العرب فى القرنين الأخيرين، ألا وهو مشاركة العلماء الحكام فى إدارة شأن العامة وتوجيههم، ومشاركة العلماء فى اختيار الحكام ليكونوا معهم أولياء الأمور، ولا أعلم أنه قام فى ديار العرب فى العصر الحديث عمل مشابه لما كان فى مصر، ولو قُدر لتلك المشاركة أن تمضى إلى نهايتها لتغير تاريخ العرب والمسلمين بل العالم كله، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

- وقد تمنيت أن يلاين السيد عمر مكرم محمد على قليلاً، وأن يداريه شيئًا من المداراة حتى يحصل منه على أكبر قدر ممكن من المكاسب للبلد والشعب؛ فإن الصدام بينهما لم يكن من المصلحة أبدًا لكن هكذا جرى الأمر، والحمد لله على كل حال.

وفى النهاية لا بد من القول بأن العلماء اعتادوا أن يصفوا بعض المتأخرين بأنهم خاتمة الحفاظ أو خاتمة المحدثين أو غير ذلك من الألقاب، وأستطيع أن أقول إن السيد عمر مكرم كان خاتمة العلماء المجاهدين، فإنى لم أرَ فى



التاريخ المصرى الحديث بل التاريخ العربى الحديث عالمًا بوزن السيد عمر مكرم ومشاركته فى الجهاد وتوجيه العامة مع الهيبة والمقام العالى بين سائر الناس، حكامًا ومحكومين، وقد كان خاتمة لعلماء مصريين هم كالشامة بين الناس، وكلهم كانوا مجاهدين عاملين، أذكر منهم المشايخ سليمان المنصورى، ومحمد بن سالم الحفناوى، وعلى بن موسى الحسينى المقدسى المصرى، وعُرف بابن النقيب، وعلى الصعيدى، والشيخ الدردير، والشيخ العروسى، وخاتمتهم السيد عمر مكرم رحمه الله تعالى.

ولولا أن شرطى فى هذه السلسلة ألا أترجم لأحد من العلماء إلا من العصر الحديث لكنت قد ترجمت لأولئك الأكابر رحمهم الله تعالى ورضى عنهم.

وأختم بما قاله المؤرخ المصرى عبدالرحمن الرافعى فى السيد عمر مكرم فإنه معبر عن حاله أحسن التعبير:

«كان للشعب زعماء عديدون يجتمعون ويتشاورون ويشتركون فى تدبير الأمور، ولكلٍّ منهم نصيبه ومنزلته، ولكن من الإنصاف أن يُعرف للسيد عمر مكرم فضله فى هذه الحركة؛ فقد كان بلا جدال روحها وعمادها».



[٥]

العـالـم المثـابر

عبدالرحمن الإفريقي

[١٣٢٦/١٣٧٧هـ] [١٩٠٨/١٩٥٧م]

هناك أشخاص عظماء كُثر فى إفريقيا السوداء عاشوا فى القرن الماضى، لكن عظمتهم وموهبتهم وقدراتهم كلها دفنت تحت تأثير الاحتلال الذى كان فرنسيا فى الأغلب، وبعض هؤلاء العظماء أتيح للناس أن يعرفوهم، وقد كانوا قسمين: قسمًا جاهد الاحتلال فذاع اسمه وشاع عمله مثل ساموری توری، ومحمد عبدالله حسن، وعمر الفوتى، وكل هؤلاء ذكرتهم من قبل.

وقسمًا آخر خرج من دياره متجهًا إلى الحرمين غالبًا، وكان منهم آل الأنصارى من مالى، وبعضٌ من الفلاته، وكان من هذا القسم العَلَم الذى أترجم له فى هذه الحلقة وهو الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقى، وهو من مالى.

ولد سنة ١٣٢٦/١٩٠٨ فى قرية «ففا» من مالى، التى كانت قد ابتليت بالاحتلال الفرنسى الذى امتص ثروتها وحطم قوتها، ونشأ كما ينشأ الصبيان آنذاك فدرس فى كُتّاب القرية، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره مَرّ بالكُتّاب مفتش فرنسى فحاوره الطلاب واطلع على كراريسهم، فوجد من عبدالرحمن نباهة وفهمًا ومعرفة بالواقع حوله تفوق ما يمكن أن يحصله صبى فى سنه، فأعجب به وطلب من والده أن يسمح بتحويله إلى إحدى المدارس العصرية التى تدرس على الطريقة الفرنسية، ففعل الوالد، وهذا يقتضى الخروج من القرية إلى بلدة أكبر، وهكذا كان وخرجت القرية لتودعه، وسط دموع الحزن ولوعة الفراق، والعجيب أن والده قال له وهو يودعه: «أوصيك بتقوى الله والحفاظ على دينك فى تلك المدرسة التى لم تنشأ إلا للقضاء على عقيدتك الإسلامية».



ووجه العجب أن الوالد فاهم لمراد أولئك لكنه استجاب لنداء العاطفة فى داخله، ويبدو أنه رجح بين المصالح والمفاسد فاختبار ذهاب ابنه، والله أعلم.

قضى الفتى ثمانى سنوات فى المعهد التنصيرى الصارم، وكان من الأوائل حتى نال الشهادة الثانوية، ثم لما تخرج عُين معيدًا فى المدرسة نفسها معلمًا للغة الفرنسية وبقى فيها ثلاث سنوات، لكن كل تلك السنوات لم تنل من عقيدة الفتى، ولم تستطع أن تنزع الإسلام من نفسه فبقى على فطرة نقية، هذا من عناية الله تعالى به؛ إذ كم من مسلم ضاع وماع فى تلك المدارس الخطيرة.

ثم تقدم لوظيفة فى مصلحة الأرصاد الجوية فى العاصمة باماكو فكان أول المقبولين، ثم بعد أشهر قلائل ترقى إلى وظيفة سكرتير المصلحة، ولقد كانت كلمة والده: «إنهم يريدون القضاء على عقيدتك الإسلامية» ترن فى أذنه فى المعهد والوظيفة؛ حيث رأى حملات تشويه الإسلام تشتد فى كل مكان كان فيه، إضافة إلى تعظيم أوربا وأهلها وتحقير الإفريقيين، ودينهم وتاريخهم.

ولم يكن عبدالرحمن مقتنعًا بصحة أقوال المنصرين لكنه لم يكن قد حاز من العلم آنذاك ما يمكنه من الرد عليهم رداً مُفْحمًا.

ولما مضى عليه عامان فى الوظيفة استدعاه رئيسه الفرنسى ليشكره على ضبط العمل وحسن الإدارة، ثم فاجأه بالقول:

- يؤسفنى يا عبدالرحمن أن يظل مثلك متشبثًا بتقاليد المتخلفين.

ـ لو أوضحت ما تريد.

ـ ألا ترى أنك تلتزم بالإسلام أكثر مما هو ضرورى!! إن الملونين من زملائك يكتفون بالانتساب لهذا الدين، أما أنت فلا ترضى إلا أن تربط تصرفاتك بقيوده الثقيلة الجامدة.

ـ الإسلام دين ربانى سمح لا يقيد المؤمن به إلا عن المفاسد، ثم يطلق مواهبه فى ميادين الخير والعمل الصالح إلى أقصى حدود الإمكان.

ـ هذا دفاع عاطفى لكنه لا يستطيع تغيير الحقيقة؛ وهى أن الإسلام دين المتخلفين، بقدر ما يعلم الناس أن النصرانية دين المتقدمين والمتفوقين!!

ـ ولم لا يكون كلام الرئيس هو العاطفى؟ لقد درست الكثير من تعاليم النصرانية ووقفت على أصولها فلم أجد فيها ما يخاطب العقل بل هى مجرد استسلام لأقوال رجال يمثلون سلطة الكنيسة.

ـ نعم نعم، وهذا سر تفوقها!! لأن هذه الأقوال لا تحمل طابع الإلزام، فأنت تستطيع أن تكون نصرانياً دون أن تدخل الكنيسة أو تتقيد بسلوك معين.

ـ لكن هذه ليست ميزة يا حضرة الرئيس؛ إنها تأكيد على أن النصرانية ليست وحيًا إلهياً، بل هى مجرد اجتهادات شخصية يقوم بتحضيرها طائفة من ذوى الاختصاص كأى شأن بشرى آخر.

ـ حسنًا، أليس الاجتهاد المتطور أَبْعَثَ على التقدم من الجمود على أحكام لا تسمح للإنسان بالتحرك إلى أبعد من حدودها المغلقة.

- أجل يا سكرتيرى العزيز: إن الإسلام محاولة صارمة لتجميد الحياة فأين هو من نصرانيتنا التى لا تعرف الحدود ولا تسمح بالجمود.



ثم أنهى الفرنسى المقـابلة تاركًا عبدالرحـمن الإفريقى مليئًا بـالانفعالات والأفكار.

وهذه المناظرة دالة بـوضوح أن أقطـاب الاحتـلال كـانوا يتـخـذون من النصرانية مـادة يتكئون عليها فى إخراج المسلمـين من دينهم، حتى لو كان أولئك قد كفروا بالنصرانية منذ زمن بعـيد أو على الأقل نَحّوها جانبًا بعيدًا عن الحـياة، بمعنى أن النصـرانية عنـد أولئك صارت حـميـة وتُكَأة وقنطرة لمصالح الغرب ومطامعه.

ثم جاء وقت الحج فشق عبدالرحـمن الإفريقى طريقه إلى مكة فى قافلة عبـر السودان، وهى رحلة شاقة وصـل بعدها إلى مكة سنة ١٣٤٥/١٩٢٦ وكان فى نيتـه أن يحج ويعود، لكن دروس المسجد الحرام والمسـجد النبوى أغرته بالبقاء حتى يتفقه ويزداد علمًا.

ـ وأقبل على العربية يغـترف من مَعينها، ثم لزم أحد فـقهاء المالكية فى المسجد النبوى حتى فقـه فى مذهب مالك، وبعد أربع سنوات قرر أن يعود إلى بلاده، وذهب إلى جدة ليـركب البحر، وفى أحد الفنادق اجـتمع بأحد أهل العلم الذى حثه على الـبقاء لطلب مزيد من العلم والتضلع من عـقيدة السلف الصـالح، فعاد الشـيخ عبـدالرحمن إلى المدينة النبـوية المنورة ولزم شيخه سعيد بن صديق -وهو إفريقى أيضًا- ولم يكن له أولاد فصار الشيخ عبدالرحمن مثل ولده.

أقبل على دراسـة الحديث النبوى الشـريف، والتحق بدار الحـديث طالبًا ودرس فى الحـرم النبوى الشـريف، ثم صار مـدرسًا فى دار الحـديث سنة ١٣٥٠/١٩٣١، وهى التى أنشأها الشيخ أحمد بن محمد الدهلوى.



من المواقف التى حصلت له:

كان يدرس فى حلقة الشيخ ألفا هاشم، وهو أحد المشايخ الأفارقة الذين كان لهم أثر فى المدينة النبوية المنورة، فوصلت للشيخ رسالة باللغة الفرنسية فأسف الشيخ أنه لم يجد من يترجمها له، فلما انفضت الحلقة قال الشيخ عبدالرحمن لشيخه: هل يسوغ لمسلم أن يستعمل لغة أعداء الإسلام فى حرم رسول الله ﷺ؟

فضحك الشيخ وقال له: أنسيت يا عبدالرحمن أن رسول الله ﷺ قد عهد إلى بعض صحابته بتعلم لسان يهود؟

وعندئذ طلب عبدالرحمن من شيخه أن يترجم له الرسالة، فانتشر خبر إجادته للفرنسية، حتى إنه طُلب فى وظيفة مترجم لكنه اعتذر لأنه يريد التفرغ للعلم.

ومن المواقف أيضًا أن أحد الطلاب استهزأ أمامه بأحد المشايخ وقال: ومن يكون هذا الرجل؟ وما هى منزلته؟

فغضب الشيخ وقال له:

هو ممن أمرك الله بالدعاء والاستغفار له فى قوله: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر: ١٠] والله يقول: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١] ثم وعظه بأمثال هذا الوعظ.

- ومما حصل له مما يدل على سماحة نفسه أن أحد أعدائه شج رأس ابن له انتقامًا منه فسُجن هذا الجانى وكان فقيرًا، فشفع الشيخ فيه فلم تُقبل



شفاعته، فأنفق الشيخ على عـائلة الجانى حتى خرج من سجنه، فلما عرف ذلك ثاب إلى نفسه وعاد إلى الحق.

همته:

لا شك أن الشيخ ذو همة عالـية دعتـه لترك المنصب فى مـالى، وترك الأهل والوطن والتـغـرب من أجل طلَب العلم، وقَلّ من الناس من يقـدر على هذا، بل إنه لم يعد لوطنه أبدًا بعد مفارقته إياه.

وكان مـحتاجًا إلى المال أيام الدراسـة فى المدينة النبوية المنورة فتـارة كان يحمل الماء بأجـرة، وتارة كان يؤجر نفـسه فى بعض المخابز، وتارة يسـاعد الخيـاط، وهو مع كل ذلك مكب على طلب العلم بنشاط وهمة حـتى صار أستاذًا فى دار الحـديث التى درس فيها سنة ١٣٦٤/ ١٩٤٥، وصـار مدرسًا فى الحـرم النبـوى الشـريـف سنة ١٣٦٠/ ١٩٤١، وعـاش حـتى صـارت الاستفتاءات ترد إليه من أنحاء العالـم الإسلامى.

ثم صار مدرسًا فى المعهد العلمى فى الرياض ثم مدرسًا فى كلية الشريعة فيها ١٣٧٠/ ١٩٥١.

ثم اختاره الملك عـبدالعزيز -رحمه الله- ليكون داعـية فى ينبع فنفع الله به.

وكان ذا همة فى التدريس يمكث فيه الساعات الطوال بدون ملل ولا كلل.



- ومن همته العالية إنفاقه الدائم بعد أن فتح الله عليه ورزقه، فكان يعطى الفقراء، فإذا قيل له: دع بعضًا من مالك لأهلك. قال: إنى تارك لهم خيرًا من ذلك: الله جل جلاله.

- ومن حسن أخلاقه ما حكاه تلميذه الشيخ عمر بن محمد فلاته - رحمهما الله تعالى- فقال: ولا أحصى عدد ما سمعته -رحمة الله علينا وعليه- يدعو إلى الاعتدال والإنصاف.

مؤلفاته:

له عدة كتب منها: «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية».

و«توضيح الحج والعمرة».

و«جواب الإفريقى» رسالة فيها إجابات عن أسئلة وردته من مليبار سنة ١٣٦٦/١٩٤٧.

- توفى -رحمه الله تعالى- سنة ١٣٧٧/١٩٥٧.



[٦]

شيخ الأزهـــر التونسى

محمد الخضر حسين

[١٢٩٣/١٣٧٧هـ] [١٨٧٦/١٩٥٨م]

قد ولى الأزهر فى العصر الحديث شيوخ كثيرون كانوا ملء السمع والبصر، لكن قليلاً منهم كان مثل الشيخ محمد الخضر حسين علمًا وعملاً وحرصًا على المسلمين، هذا ولم يَلِ الأزهر غير مصرى فى العصر الحديث إلا الشيخ محمد الخضر حسين فيما أعلم.

وقد عاش الرجل فى مدة مليئة بالأحداث منذ بدايات القرن الرابع عشر الهجرى/ العشرين الميلادى.

ولد -رحمه الله تعالى- فى مدينة نَفْطة بتونس فى ٢٦ رجب سنة ١٢٩٣هـ/ ١٦ أغسطس ١٨٧٦م، وأصل أسرته من الجزائر، من عائلة العمرى، من قرية طولقة، وهى واحة من واحات الجنوب الجزائرى، وأصل أمه من وادى سوف بالجزائر أيضًا، وأبوها هو الشيخ المشهور مصطفى بن عزوز، وخاله الشيخ المشهور محمد المكى بن عزوز.

واسم الشيخ هو محمد الأخضر بن الحسين بن على بن عمر، فلما جاء إلى الشرق حذف «ابن» من اسمه على الطريقة المشرقية، وغلب عليه الخضر عوضًا عن الأخضر.

ونشأ الشيخ فى أسرة علم وأدب من جهتى الأب والأم، وكانت بلدة نَفْطة التى ولد فيها موطن العلم والعلماء، حتى إنها كانت تلقب بالكوفة الصغرى، وبها جوامع ومساجد كثيرة، وهى واحة بها زرع وفيها فلاحون.

ونشأ الشيخ فى هذه البيئة طالبًا للعلم فحفظ القرآن، ودرس العلوم الدينية واللغوية على يد عدد من العلماء، منهم خاله الشيخ محمد المكى بن



عزوز الذى كان يرعاه ويهتم به، وحاول الشيخ منذ سن الثانية عشرة أن يقرض الشعر، ثم برع فيه بعد ذلك.

ولما بلغ الشيخ سن الثالثة عشرة انتقل إلى تونس مع أسرته ودرس فى جامع الزيتونة -فك الله أسره وأعاد مجده- وهناك درس على خاله محمد المكى بن عزوز الذى كان له شهرة كبيرة بالجامع ويدرس فيه مجانًا، ودرس على أيدى مشايخ آخرين أبرزهم الشيخ سالم بوحاجب الذى كان من أعمدة الإصلاح فى تونس، درس على يديه صحيح البخارى، وقد تخرج الشيخ فى الزيتونة سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وألقى دروسًا فى الجامع فى فنون مختلفة متطوعًا، وبقى كذلك مع حضور مجالس العلم والأدب المختلفة.

وفى شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ/ إبريل ١٩٠٤م أنشأ مجلة «السعادة العظمى» وهى أول مجلة عربية ظهرت فى تونس، وكانت تصدر كل نصف شهر، ولم يصدر منها سوى ٢١ عددًا ثم انقطع صدورها، وقد كان الشيخ يكتب أغلب مقالاتها.

وقد وُوجهت بنقد من قبل بعض الجامدين؛ لأن الشيخ أيد فيها بقاء باب الاجتهاد مفتوحًا، وكانت المجلة تتسم بالنقد الهادف واحترام التفكير الجيد.

رحلتاه إلى الجزائر:

- وفى سنة ١٩٠٣/١٣٢١ ارتحل إلى الجزائر، وفى السنة التى تليها ارتحل إليها أيضًا، وزار معظم المدن الجزائرية، وقصد العاصمة الجزائر فزار المساجد والمكتبات، وحضر بعض الدروس الدينية واللغوية، كما شارك فى بعض المجالس الأدبية وألقى بعض الدروس الشرعية.

مناصبه فى تونس:

١- توليه منصب القضاء:

تولى منصب القضاء فى بلدة بنـزرت، ولم يكن يريده لكن الشيخ الإمام العلامة محمـد الطاهر بن عاشور أقنعه بالقبول واشتـد عليه فيه، لكنه بقى أشهرًا قليلة ثم استقال، وعاد إلى تونس ليعاود التدريس فى الزيتونة، وكان أثناء بقائه فى بنـزرت مباشرًا الخطابة والتدريس فى جامعها الكبير، وكان له فيها دروس شرعية وأدبية.

٢- عضوية الجمعية الزيتونية:

كان عضوًا فى الجمعية الزيتونية التى يرأسها الإمام العلامة محمد الطاهر ابن عـاشور، وهى خـاصة بمشـايخ جامع الزيتـونة، فك الله أسره وأعـاد مجده.

٣- التدريس فى جامع الزيتونة والقيام على خزانة كتبه.

٤- التدريس بمدرسة الصادقية، وكانت الثانوية الوحيدة فى تونس.

رحلته إلى بلاد الشام:

للشيخ ثلاثة إخوة أدباء فـضلاء تركوا تونس واستقـروا فى الشام، وكان منهم زين العابدين أخوه العالـم الذى كان يلقى الدروس فى الجامع الأموى فأراد الشيخ زيارتهم، فغادر الشيخ تونس إلى الشام سنة ١٣٣٠/ ١٩١٢ عن طريق البحر، ومر بمـالطة والإسكندرية ثم القاهرة وألقى درسًا فى الأزهر،



ثم ترك القاهرة إلى بورسعيد فيافا وحيفا، وفى كل مدينة من المدن كان يزور الأدباء والعلماء ويطلع على الكتب.

ثم دخل الشام فاستقبل استقبالاً حافلاً، وألقى دروسًا فى الجامع الأموى فى الحديث، واتصل بالعلماء والأدباء، وبقى شهرًا ونصفًا فيها ثم غادرها إلى بيروت فى شوال سنة ١٣٣٠/ ١٩١٢، ثم غادرها إلى إستانبول ليزور خاله الشهير محمد المكى بن عزوز الذى اتخذها موطنًا له، ولم يلقه منذ خمس عشرة سنة، وبقى فيها شهرين ثم غادرها إلى تونس.

انتقاله إلى الشام:

بقى فى تونس أسابيع قليلة ثم خرج منها -إلى غير رجعة- لما ضيق الاستخراب الفرنسى عليه تاركًا زوجه التى رفض أهلها أن يأخذها معه، وكان ذلك فى سنة ١٣٣١/ ديسمبر ١٩١٢، فوصل دمشق ثم غادرها إلى الحجاز بالسكة الحديد للحج، وزار ألبانيا ودار فى البلقان، ثم ذهب إلى الأستانة -إستانبول- ثم وصل دمشق واستقر فيها بحى الميدان ببيت إخوته الذين سبقوه إلى هنالك.

ودرّس فى دمشق بالمدرسة السلطانية، واستمر كذلك حتى سجنه جمال باشا السفّاح والى الشام العثمانى سنة ١٣٣٥/ ١٩١٦ متهمًا إياه بالتآمر على السلطة الحاكمة، وبقى فى السجن ستة أشهر -وقيل أكثر من ذلك- فلما خرج منه عاد إلى التدريس بالمدرسة السلطانية والجامع الأموى.

ثم طلبته وزارة الحربية العثمانية -أثناء الحرب العالمية الأولى- للعمل فيها مُنشئًا للرسائل العربية فغادر دمشق إلى إستانبول، ومن هنالك أرسلته

الدولة العثمانية إلى ألمانيا مع مجموعة من المشايخ فى مهمة سياسية تتمثل فى تحريض المغاربة هنالك ضد الوجود الفرنسى فى شمال إفريقيا وضد الإيطاليين فى ليبيا، فبقى تسعة أشهر تعلم فيها اللغة الألمانية واطّلع على عادات المجتمع الألمانى، ثم عاد إلى إستانبول فبقى فيها قليلاً، ثم عاد إلى برلين ليقيم فيها سبعة أشهر أخرى، إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى وسقطت إستانبول بأيدى الحلفاء.

وقد شارك أثناء إقامته فى ألمانيا بكتابة تقرير مفصل عن مطالب الشعب الجزائرى والتونسى، وقد رُفع هذا التقرير إلى مؤتمر الصلح المنعقد فى فرنسا.

وحضر سنة ١٩١٧/١٣٣٦ افتتاح مسجد للجنود المسلمين فى برلين، وألقى فيه محاضرة عن الحرية.

- ولم يأكل أثناء إقامته فى ألمانيا اللحم لأن الألمان لا يذبحون بالطريقة الشرعية، وإنما يضربون الحيوان على رأسه حتى يموت أو يخنقونه.

وقد أُعجب بحب الألمان العمل وإقبالهم عليه حتى عَجَزَتُهم.

عودته إلى دمشق:

لما سقطت إستانبول بأيدى الحلفاء عاد من هامبورج بألمانيا إلى إستانبول بباخرة أقلّته ومن معه من العثمانيين، ومنها عاد إلى دمشق التى كانت قد خضعت للحكم العربى -بعد زوال العثمانيين- بقيادة فيصل بن الشريف حسين.

وفى دمشق انضم إلى المجمع العلمى العربى عضواً عاملاً، ثم لما استقر بمصر بقى عضواً مراسلاً.



انتقاله إلى مصر واستقراره فيها:

لما سقطت الشام فى أيدى الفرنسيين ١٣٣٩/ ١٩٢٠ ما وسعه المقام فيها؛ وذلك لأن الفرنسيين كانوا قد حكموا عليه غيابياً فى تونس بالإعدام لاتهامه بالمشاركة فى تحريض المغاربة بألمانيا وتركيا على الثورة ضد الفرنسيين فى شمال إفريقيا، فهرب إلى مصر، وبقى فيها إلى نهاية حياته المباركة.

وعمل فى مصر مصححًا بدار الكتب المصرية بشفاعة أحمد تيمور باشا الذى عرف قدره، وكان يلقى المحاضرات والدروس فى مساجدها، ويكتب المقالات المتنوعة الكثيرة.

وفى القاهرة أنشأ «جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية» التى تهتم بالمغاربة من الناحيتين الثقافية والاجتماعية؛ وذلك سنة ١٣٤٢/ ١٩٢٤، وبعد عشرين سنة ألف جمعية «جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية».

وفى تلك المدة أسقط الهالك أتاتورك الخلافة الإسلامية، ومن ثم تطلع الناس إلى بلد آخر ليكون مهدًا للخلافة فاتجهت الأنظار إلى مصر، وآنذاك كتب الشيخ على عبدالرازق كتابه المشئوم «الإسلام وأصول الحكم» أنكر فيه أن يكون للإسلام سلطة ودولة إنما هو سلطة روحية فقط، فقامت عليه قيامة العلماء والمفكرين بمصر، وفصل من هيئة كبار العلماء فى محرم سنة ١٣٤٤/ ١٩٢٥ واتهم بالزندقة والإلحاد، وحينئذٍ ألف الشيخ محمد الخضر حسين كتابه الشهير الذائع الصيت «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم»، ونال به حظوة عند الملك فؤاد الذى -كان يطمع بالخلافة- وجَمْعٍ من

العلماء والأدباء والمفكرين والمثقفين، وعظمت به شهرته، وطار به صيته، وقد أهدى الكتاب لخزانة الملك فؤاد.

- وفى مصر اختلف مع طه حسين عندما ألف كتابه «فى الشعر الجاهلى» وكان فى الكتاب انحراف خطير واتباع لأقوال المستشرق الإنجليزى مرجليوث وطعن فى القرآن، فاشتد غضب علماء الأزهر حين صدر هذا الكتاب، وحاكموا صاحبه إلى محاكم مصر التى كانت تحت التأثير الإنجليزى فبرأته، وهنا ألف الشيخ محمد الخضر كتابه «نقض كتاب فى الشعر الجاهلى» الذى كان باعتراف طه حسين من أهم الردود عليه وأشدها حجة.

- وفى سنة ١٣٤٦/١٩٢٨ شارك فى تأسيس «جمعية الشبان المسلمين» ووضع لائحتها مع صديقه محب الدين الخطيب.

- وفى مصر أنشأ «جمعية الهداية الإسلامية» مع بعض المشايخ منهم شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغى، وذلك فى سنة ١٣٤٦/١٩٢٨ لمّا رأى التفسخ الخلقى آخذًا فى الانتشار بين كثير من شباب مصر آنذاك، وكان من أهداف الجمعية محاربة الفساد والإلحاد، والتعريف بالإسلام، والسعى لتقوية الصلات بين الشعوب الإسلامية والسعى لإصلاح شأن اللغة العربية وإحياء آدابها، وأصدر مجلة «الهداية الإسلامية» لتكون لسان حال الجمعية، وأُلقيت المحاضرات فى المساجد والنوادى خاصة التى تتبع هذه الجمعية، وقد رَأَس الجمعية الشيخ محمد الخضر حسين، وفيها بعض الأعضاء البارزين مثل الشيخ على محفوظ، والشيخ عبدالوهاب النجار، وفتحت الجمعية فروعًا فى مصر وسوريا والعراق.

وقد توقف صدور المجلة بعد ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية.

مناصب الشيخ فى مصر:

- التدريس فى الأزهر:

اختير الشيخ محمد الخضر حسين للتدريس فى قسم التخصص بالأزهر، وهذا دال على مدى علمه؛ إذ لا يدرس فى الأزهر آنذاك إلا كبار العلماء.

- رئاسة تحرير مجلة الأزهر:

اختير الشيخ محمد الخضر لتولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر التى صدرت فى بداياتها باسم «نور الإسلام» وذلك سنة ١٣٤٩/ ١٩٣١ ثم تحولت إلى مجلة الأزهر، وما زالت تصدر إلى يومنا هذا، وبقى الشيخ فيها إلى أن عزل عنها بعد أربع سنوات.

- وتولى رئاسة تحرير مجلة «لواء الإسلام» سنة ١٣٦٦/ ١٩٤٦.

وفى القاهرة اختير عضواً بـ «مجمع اللغة العربية الملكى» عند إنشائه سنة ١٣٥١/ ١٩٣٢.

- واختير عضواً لهيئة كبار العلماء سنة ١٣٧٠/ ١٩٥٠.

- ثم اختير شيخًا للأزهر بعد ثورة يوليو فى سنة ١٣٧١/ ١٩٥٢ وفى عهده أرسل وعاظًا أزهريين إلى السودان، ثم استقال منه بعد أقل من سنتين، وفى ولايته للأزهر دلالة على رفعة شأنه عند العلماء والساسة، فقد كان الأزهر أعظم مؤسسة إسلامية فى العالم الإسلامى وقد قال الشيخ العلامة الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور التونسى عند اختيار الشيخ محمد



الخضر شيخًا للأزهر: «ليحق لهذه الحقبة من التاريخ التى تُظِلُّنا أن تفخر بأنها بلغت فيها الصِّلات بين الأزهر والزيتونة أوجها؛ فقد احتضن الأزهر إمامًا من أئمة الأعلام، كان أحد شيوخ الزيتونة العظام».

وقد أحسنت مصر وفادته منذ نزل إليها سنة ١٣٣٩/ ١٩٢٠ وتجنس بجنسيتها وبقى فيها إلى وفاته، ودفن فيها.

علاقته بالسياسة:

كان للشيخ -رحمه الله تعالى- بعض الأفكار فى باب السياسة وخاض فى شىء منها، فقد كان مهتمّاً بالاتحاد الإسلامى، حريصًا على تفقد أحوال المسلمين، متألمًا مما نزل بهم، وكان -رحمه الله تعالى- حسن الصلة بوطنه تونس، حريصًا على تتبع أحواله، وإعانة أبنائه فى كل الميادين، وكان بيته قبلة للتونسيين القادمين إلى القاهرة، وسخر مكانته العلمية والدينية من أجل مساعدة المدافعين عن قضية تونس خصوصًا، والمغرب العربى الكبير عمومًا، فعرف بهم السلطات والهيئات والمسئولين فى مصر، وأنشأ جمعيتين لهذا الغرض كما ذكرت آنفًا.

وقد ذكرت من قبل أن الدولة العثمانية ابتعثته إلى ألمانيا فى مهمة سياسية حكمت عليه فرنسا من أجلها بالإعدام.

لكن الشيخ لم يكن يحب الحديث فى المجالات السياسية فى مجلته «الهداية الإسلامية» ولا فى مجلة «نور الإسلام» التى أصبحت الأزهر فيما بعد، حتى أنه قد جرت أحداث مهمة فى تونس والمغرب فى ذلك الوقت لكن الشيخ لم يكن يذكرها، ولعل مرد ذلك إلى تخوفه من الدخول فى غمار شىء لا يدرى



ما عواقبه فى مصر، وهذا السبب غير مقنع لى، والسبب الأقوى -عندى- هو أن الشيخ كان مهتماً بالإصلاح التربوى والاجتماعى والدينى أكثر بكثير من اهتمامه بالسياسة التى أكد على البعد عنها فى افتتاحية العدد الأول من مجلة «الهداية الإسلامية» ومجلة «نور الإسلام» فى عددها الأول أيضًا، وهى التى أصبحت مجلة «الأزهر» فيما بعد، وهذا مما أثار عليه حفيظة الشيخ محمد رشيد رضا فجرى بينهما ما لا أحب ذكره، عفا الله عنهما وغفر لهما، وعلى كل حال فلا يعنى عدم تعرضه للسياسة فى المجلتين أنه بعيد فى حياته العملية عنها بل قد كان بها ذا صلة كما بينت آنفًا لكنه آثر لسبب لا أدريه -على وجه القطع واليقين- أن يبتعد عنها فى المجلتين، والله أعلم.

صفاته:

كان الشيخ -رحمه الله تعالى وإيانا- مؤثرًا للهدوء فى النقاش والحديث، عَفّ اللسان، جرىء الجنان، محباً للإصلاح، عاملاً على جمع الكلمة، ومن أبرز صفاته الزهد فقد كان ظاهرًا فيه طوال حياته، وكان يردد كثيرًا: «يكفينى كوب لبن وكسرة خبز وعلى الدنيا بعدها العَفاء».

وهو -بلا شك ولا ريب- صاحب همة عالية أهّلته للوصول إلى ما وصل إليه، رحمه الله وإيانا.

من مواقفه:

- عندما كان فى ألمانيا حضر عند مدير الاستخبارات الألمانية وكان معه سكرتيره، وذلك أثناء سفرهم إلى قرية ألمانية، وفى نهاية الحديث سأله المدير: أليس كذلك يقرر ابن خلدون؟

فقال له: وماذا يقرر؟

قال: إن العرب لا يصلحون لملك ولا يحسنون حكمًا للأمم.

فقال له: إنما خص ذلك بعهد الجاهلية، وقرر أنهم فى الإسلام أحسنوا السياسة وقاموا بأعباء الملك خير قيام، وقد بيَّن ذلك غاية البيان فى فصل عقده فى مقدمته.

وهذا يدل على أن مدير الاستخبارات الألمانى كان متابعًا لأحوال العرب، وأن الشيخ محمد الخضر كان قارئًا جيدًا واعيًا حاضر الذهن.

ـ ومن مواقفه الجيدة أن السلطات الفرنسية الاستخرابية فى تونس دعته ليكون عضواً فى المحكمة المختلطة التى يكون فيها قضاة مسلمون وأجانب، فرفض لأن المحكمة تحكم بغير ما أنزل الله، ولأن المحكمة قائمة فى ظل الاحتلال وستخدم مصالحه.

ـ ومن مواقفه الجريئة أنه حاضر فى تونس عن الحرية فى الإسلام أثناء وجود الاستخراب الفرنسى فيها، وذلك فى نادى قدماء مدرسة الصادقية الثانوية، قال فيها:

«إن الأمة التى بُليت بأفراد متوحشة تجوس خلالها، أو حكومة جائرة تسوقها بسوط الاستبداد هى الأمة التى نصفها بصفة الاستعباد، وننفى عنها لقب الحرية». ثم بيَّن الآثار السيئة للاستبداد فى شجاعة وجرأة، وقد تناقل الناس مضمون المحاضرة ووصلت أخبارها إلى الشام وغيرها.

ـ وفى مصر كان له موقف مشرف حين طلب أحد أعضاء مجلس الثورة مساواة الجنسين فى الميراث، ولما علم الشيخ بذلك أنذرهم إن لم يتراجعوا



عن هذا فسيلبس كفنه ويدعو الشعب إلى زلزلة الحكومة والقيام عليها لاعتدائها على حكم من أحكام الله، فكف ذلك العضو عما نواه من تغيير حكم الله تعالى، فما أحوجنا اليوم لمثله.

ـ وقد استقال من الأزهر عندما حدثت الحادثة العظمى بضم القضاء الشرعى إلى القضاء الأهلى الذى اخترعه الاستخراب الإنجليزى، وكان يرى -كما يرى كل مسلم- بوجوب حدوث العكس وهو إلغاء القضاء الأهلى وتثبيت الشرعى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان يقول عن وظيفته فى الأزهر قولاً لا بد أن يسمعه شيخ الأزهر اليوم:

«إن الأزهر أمانة فى عنقى أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأتّ أن يحصل للأزهر مزيد الازدهار على يدى فلا أقل من ألا يحصل له نقص»، وهى مقولة جليلة.

شعره:

للشيخ شعر جيد كثير ضمن بعضه فى ديوان منشور، سماه «خواطر الحياة»، فمنه فى ذم الكماليين الذين ألغوا الخلافة:

ما خَطْبُ قومٍ - طالما وصلوكِ ... واعتز باسمكِ عرشُهم- هجروكِ

حرسوك أحقابًا وحلّق صيتهم ... فى الخافقين لأنهم حرسوكِ

ومنه حين نصحه بعض أصحابه بالرجوع إلى الشام وترك مصر:

يقول: تقيم فى مصر وحيدًا ... وفقد الأُنس إحدى الموتتين

ألا تَحْدو المطية نحو أرض	تعيد إليك أنس الأُسرتين
وعيشًا ناعمًا يدع البقايا	من الأعمار بِيضًا كاللُّجين
فقلت له: أيحلو لى إياب	وتلك الأرض طافحة بغَيْنِ
وما غينُ البلاد سوى اعتساف	يدنسها به خُرْق اليدين

والغين هو الغيم، والمقصود به الاستخراب الفرنسى الذى خرب الشام آنذاك.

وقال يمدح الأمير محمد عبدالكريم الخطابى يوم جاءت السفينة به من منفاه، واستطاع بعض المخلصين تخليصه فى السويس وهو فى طريقه إلى سجنه بفرنسا، فقال على الباخرة مرحبًا به:

قلت للشرق وقد قام على	قدم يَعرِض أرباب المزايا
أرنى طلعة شهم ينتضى	سيفه العَضْب ولا يخشى المنايا
أَرِنيها إننى من أمة	تركب الهول ولا ترضى الدنايا
فأرانى بطل الريف الذى	دحر الأعداء فارتدوا خزايا

من الأقوال فى مدحه:

- قال فيه العلامة عبد المجيد اللبان رئيس لجنة امتحان شهادة العالمية بالأزهر يوم تقدم إليها للاختبار:

«هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه فى حِجاج».



ـ وقال عنه الشيخ العلامة محمد على النجار:

«إن الشيخ اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع فى غيره، إلا فى النُدْرَى؛ فقد كان عالمًا ضليعًا بأحوال المجتمع ومراميه، لا يشذ عنه مقاصد الناس ومعاقد شئونهم، حفيظًا على العروبة والدين، يردّ ما يوجه إليهما وما يصدر من الأفكار منابذًا لهما، قوى الحجة، حسن الجدال، عف اللسان والقلم».

ـ وقال عنه العلامة الضخم الجليل الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور:

«إنه من أفذاذ علماء الإسلام، وقد كان قليل النظير فى مصر».

ـ زواجه:

تزوج الشيخ أربع مرات، مرة بتونس وقد ترك زوجه عند خروجه من تونس لرفض أهلها أن يصحبها معه، وتزوج فى سوريا ثم طلق، ثم تزوج فى مصر امرأة عاشت معه ثلاثين سنة ثم ماتت، فتزوج من امرأة من أهل زوجه المصرية.

ولم يرزق الشيخ بأولاد من أى من زوجاته.

ـ مؤلفاته:

للشيخ عدة كتب منها:

«وسائل الإصلاح» ثلاثة أجزاء.

وفى الكتاب نقد للأوضاع القائمة، وتقويم لها، وفيه ردٌّ على بعض الضلال الفكرى الذى كان سمة من سمات ذلك العصر، وفيه تركيز على أثر العلماء والعناية بهم وحثهم على القيام بوظائفهم.

«بلاغة القرآن».

«أديان العرب قبل الإسلام».

«تونس وجامع الزيتونة».

«حياة ابن خلدون».

«دراسات فى العربية وتاريخها».

«تونس: ٦٧ عامًا تحت الاحتلال الفرنساوى» أصدره سنة ١٩٤٨.

«أدب الرحلات».

«الحرية فى الإسلام».

«آداب الحرب فى الإسلام».

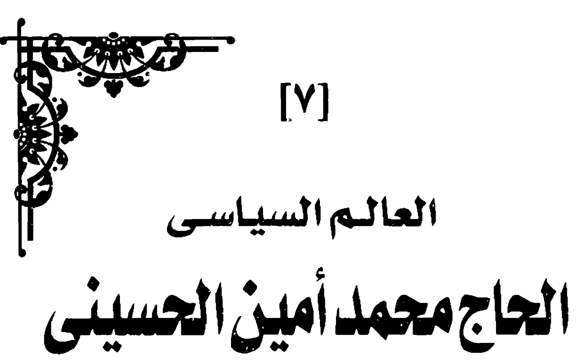
«تعليقات على كتاب الموافقات» للشاطبى.

إضافة إلى مئات المقالات والمحاضرات.

ـ وفاته:

توفى -رحمه الله تعالى وغفر لنا وله- فى رجب مضر سنة ١٣٧٧/١٩٥٨ عن أربع وثمانين سنة، ودفن فى القاهرة فى مقبرة أصدقائه آل تيمور، وأهدى مكتبته العلمية النادرة الضخمة لزوجه الأخيرة.

وقد احتفلت تونس رسمياً بالذكرى الخمسين لوفاته وأبرزت أعماله، وهذا منهم عجيب؛ إذ يحتفلون بالشيخ الذى يناقضون عمله وسعيه واتجاهه فى كل نواحى الحياة فى تونس اليوم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



[٧]

العالم السياسى

الحاج محمد أمين الحسينى

[١٣١٥/١٣٩٤هـ] [١٨٩٧/١٩٧٤م]





أكثر العلماء فى العصر الحديث كانوا عن السياسة بمعزل، بل بعضهم لعن فعل ساس ويسوس واستعاذ منهما وبرئ من تبعاتهما فصار فى معزل عن آمال الجماهير وآلامهم، لكن الشيخ محمد أمين الحسينى كان -على علمه وفضله- رأس ساسة فلسطين، ومن السياسيين الكبار المعدودين فى عهده.

ولد -رحمه الله تعالى- فى القدس سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م فى أحوال صعبة، والأمة الإسلامية قد بلغت درجة مؤسفة من الضعف والهوان على الله وعلى الناس، وكانت أسرته أسرة علم وفضل تنتسب إلى بيت النبوة الطاهر، ووالده طاهر الحسينى كان مفتيًا للقدس ونقيبًا للأشراف وتوفى سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وتلقى الشيخ محمد القرآن وعلوم الدين والعربية على أبيه وعلى آخرين جاء بهم والده إلى بيته لتعليمه، ودرس فى الكتّاب أيضًا، وحفظ القرآن وهو فى العاشرة، ثم أرسله والده إلى مدارس القدس الابتدائية ثم الثانوية -ولم يكن آنذاك نظام الإعدادية المتوسطة قائمًا- ثم أدخله مدرسة «الفرير» لتعلم الفرنسية، ثم أرسله والده للأزهر فدرس فيه وفى كلية الآداب فى الجامعة المصرية، ودرس أيضًا فى مدرسة الأستاذ محمد رشيد رضا «دار الدعوة والإرشاد».

دراسته فى الكلية العسكرية فى إستانبول:

عاد إلى القدس فى إجازة سنة ١٣٣٢/ ١٩١٤ فعَلِق هناك لقيام الحرب العالمية الأولى فلم يعد يستطيع العودة، فذهب إلى إستانبول ليكمل دراسته لكنه آثر أن يدرس العسكرية ففعل وتخرج فى الكلية العسكرية ضابطًا ليكون أحد العلماء القلائل جداً الجامعين بين الدراسة العسكرية والدينية فى



العصر الحديث، وقد تنقل فى عدة مراكـزَ عسكرية فى الدولة العثمانية، ثم ترك العـسكرية فى نهاية الحـرب العالميـة الأولى بعد اكتـسابه خـبرة جـيدة ساعدته بعد ذلك فى العمل العسكرى والسياسى.

وكان يقول عن خبرته تلك:

«إننى ضابط قديم، لى خبـرتى فى الحرب، وليس الدم الذى يجرى فى عروقى دم العلماء فحسب، وإنما دم المجاهدين».

وجاءت شـهرته بالحـاج لذهابه إلى الحج مع والدته سنة ١٣٣١/ ١٩١٣ فى وقت عَزّ فـيه حج العلمـاء والمشايخ، فاشـتهر بالحـاج ولصق به اللقب طوال حياته.

أعماله ومناصبه ووظائفه:

كان الـشيخ مـحمد أمـين الحـسينى مِلء الـسمع والبصـر فى فلسطين وغيـرها، وله أعمال كـثيرة جداً، وتولى الشـيخ -رحمه الله تعـالى- عدة مناصب ووظائف، سأسـردها ها هنا قبل ذكـر تفاصيل عـمله؛ حتى يكون ذلك معينًا للقارئين على فهم تلك التفاصيل.

- تأسـيس ورئاسـة «النادى العـربى»، وهو أول منظمـة سـياسـيـة فى فلسطين، وكان من مبـادئه العمل على استقلال البلاد العـربية والعمل على اتحادها، وكان الحاج أمين يؤمن بسوريا الكبرى وفلسطين جزء منها.

- عمل مـدرسًا بمدرسة روضـة المعارف الوطنية، وكـانت المدرسة تموج بالحركة القومية والإسلامية، ودرّس فى المدرسة الرشيدية فى القدس.



ـ رأس أول مجلس للشئون الإسلامية والأوقاف والمحاكم الشرعية وهو «المجلس الإسلامى الأعلى لفلسطين» سنة ١٣٤٠/ ١٩٢٢.

- تولى منصب مفتى القدس بعد أخيه الحاج كامل الحسينى.

- أعاد تنظيم ١٨ محكمة شرعية فى فلسطين.

- تولى ولاية الأوقاف الإسلامية فى فلسطين بعد أن انتزعها من اليهودى الإنجليزى بنتويش.

- أسس عدة مدارس إسلامية فى فلسطين.

- أسس الكلية الإسلامية سنة ١٣٤٢/ ١٩٢٤ فى القدس.

- تولى رئاسة لجنة ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

- تولى رئاسة المؤتمر الإسلامى العام الذى ابتدأ سنة ١٣٥٠/ ١٩٣١ فى القدس، ثم تكرر انعقاده فى مكة وبغداد وكراتشى وغيرها.

ـ كون جمعية «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» فى فلسطين للإصلاح ومقاومة شراء اليهود للأراضى.

- تأسيس ورئاسة «اللجنة العربية العليا» فى فلسطين.

- الإشراف على إنشاء «جيش الجهاد المقدس» سنة ١٣٥٤/ ١٩٣٥ بقيادة الشهيد -بإذن الله تعالى- عبدالقادر الحسينى.

- المشاركة فى ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ضد الإنجليز سنة ١٣٦٠/ ١٩٤١.

- إنشاء مكاتب للحركة العربية والقضية الفلسطينية فى برلين وروما وغيرهما فى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية.

- رئاسة «الهيئة العربية العليا لفلسطين» التى كُونت بقرار من جامعة الدول العربية سنة ١٣٦٥/١٩٤٦.

-رئاسة وفد فلسطين فى مؤتمر باندونج بإندونيسيا بصفة مراقب سنة ١٣٧٤/ ١٩٥٥.

- رئاسة المؤتمر الوطنى الفلسطينى الذى أعلن حكومة عموم فلسطين ووضع دستورها وبرنامج الحكومة سنة ١٣٦٧/١٩٤٨.

وغير ذلك من الأعمال والمناصب والوظائف التى تدل على همة الرجل العالية، وعمله الدائب من أجل قضية فلسطين وغيرها من بعض قضايا المسلمين الأخرى.

جهاد الحاج أمين الحسينى من أجل فلسطين:

لم يألُ الحاج أمين الحسينى جهداً فى سبيل إنقاذ فلسطين، وسافر من أجلها إلى سوريا وتركيا وأفغانستان وألمانيا وإيطاليا ومصر، وبدأ حياته العملية فى فلسطين مدرسًا ببعض مدارسها، ثم شارك فى الأعمال الجهادية وفى المظاهرات التى قامت سنة ١٣٣٩/ ١٩٢٠ وقد اضطربت الأوضاع بسبب تحرش اليهود بالفلسطينيين، وقتل فيها بعض المسلمين واليهود، فاتُّهم اليهود الحاج أمين بأنه كان المحرض لأهالى القدس فحاولوا اغتياله، لكنه نجا، وحكم عليه الإنجليز بالسجن واقتادوه إليه، وفى الطريق هجم على الجنود بعض الشباب وخلصوا الحاج من بين أيديهم، فهرب عبر البحر الميت إلى الكَرَك -فى الأردن اليوم- ومنها إلى دمشق

ليكون بجوار فيصل بن الحسين الذى كان ملكًا على سورية، فحكم عليه الإنجليز غيابيّاً بخمس عشرة سنة سجنًا، وعندما حلت الإدارة المدنية مكان الإدارة العسكرية فى فلسطين عفت عنه بضغط الفلسطينيين وعاد إلى القدس.

ثم عين مفتيًا للقدس فى السنة التى تلت المظاهرات فعمل على تحسين أحوال أهالى فلسطين الاقتصادية والتعليمية، ورعى الأوقاف الإسلامية.

ـ وأسس مكتبة المسجد الأقصى التى حوت آلاف الكتب.

ـ وفى سنة ١٣٤٠/ ١٩٢٢ انتخب رئيسًا لـ «المجلس الإسلامى الأعلى» فى فلسطين، وكان هذا المجلس قد أسسه المسلمون ليتولوا بأنفسهم إدارة أوقافهم ومساجدهم، وعَدّ الإنجليز تأسيس هذا المجلس إنشاءً لحكومة ثالثة فى فلسطين بجوار الحكومة البريطانية والعصابات اليهودية، وذلك لعظم المؤسسات والجهات التى يقوم عليها هذا المجلس؛ فهو مسئول عن ثمانى عشرة محكمة شرعية، وجهاز مكون من ٢٥٠ معاونًا وست دوائر للأوقاف، فيها ٥٩٢ موظفًا، وعشر مدارس، وكلية إسلامية، وعدة مؤسسات أهمها دار الأيتام الإسلامية الصناعية فى القدس.

وبعد انتخاب الحسينى رئيسًا للمجلس بزغ نجمه، وعده الفلسطينيون رئيسًا «روحيّاً» لهم، وبسبب ذلك نازعه الحُسّاد منصبه، وشكوه إلى الحاكم البريطانى مرارًا، وجمعوا آلاف التواقيع ضده ورفعوها إلى الحاكم البريطانى!! وهذا يُظهر بجلاء أن المشكلة الدائمة هى اختلاف المسلمين فيما بينهم، وأن هذا الاختلاف هو الممكّن للأعداء من رقاب المسلمين، لكن قومى لا يتعظون!!

ولما انتخب الشيخ رئيسًا للمجلس سافر على رأس وفد من رجال فلسطين سنة ١٣٤١/ ١٩٢٣ إلى دمشق زمن استيلاء الفرنسيين على بلاد الشام، وأقام



بفندق فكتوريا فجاءت فرقة من الجيش الفرنسى فطوّقت الفندق، ومنعت الناس من السلام على الحاج أمين ومَن معه، وطلب قائد القوة من الحاج مغادرة دمشق فورًا فرفض وقال للقائد الفرنسى: إن دمشق بلدى ولى حق الإقامة فيها، أما أنتم فغرباء عنها، دخلاء عليها، وليس من حقكم منعى من الإقامة فى وطنى، وقامت فى دمشق مظاهرة شعبية كبيرة استياءً من صنيع فرنسا، ووقعت بعض الصدامات العنيفة بسبب ذلك، ففرق الفرنسيون المظاهرة، ثم حملوا المفتى بالقوة ونقلوه فى دبابة فرنسية إلى الحدود العراقية.

- وأسس كلية إسلامية فى ساحة المسجد الأقصى المبارك لتهيئة الطلاب للعمل فى المراكز الدينية فى المساجد والقضاء وغير ذلك.

- وفى سنة ١٣٤٣/ ١٩٢٥ أسس فرقًا كشفية كانت عسكرية فى تدريبها وتشكيلها لكنها كشفية فى ملابسها وزيها، وهذا من أجل الإعداد للجهاد.

وفى سنة ١٣٤٣/ ١٩٢٥ زار المشئوم بلفور صاحب الوعد الظالم فلسطين من أجل افتتاح الجامعة العبرية فى القدس، فأضربت البلاد إضرابًا شاملاً عامّاً، وصدرت الصحف مجللة بالسواد، فأمر الحاج أمين -من خلال المجلس الإسلامى الأعلى- بأن تُغلق فى وجهه جميع الأماكن الإسلامية المقدسة ومنعه من زيارتها أو الدخول إلى ساحاتها، فطلب المندوب السامى هربرت صموئيل من الحاج أن يزور بلفور الأقصى الشريف فلم يرضَ الحاج أمين، وأقفل أبواب المسجد وطلب من الحراس عدم فتحها لبلفور ومرافقيه، فلما جاءوا وجدوا الأبواب مغلقة فعادوا، وهذا صنيع جليل من الحاج دال على عِزة؛ فإن بلفور وُصف بأنه أشد صهيونية من هرتزل!!

- وفى سنة ١٣٤٧/ ١٩٢٩ بعد أحداث حائط البراق أسس جمعية «حماية البراق الشريف» لتقوم فى وجه اليهود الذين أسسوا جمعية «أنصار حائط المبكى»، ونقل مكان سكنه من خارج القدس إلى بيت يشرف على الحائط مباشرة ليراقب الوضع هنالك.

- وأسس أيضًا منظمة «الكف الأخضر» العسكرية التى تقف فى وجه اليهود وتحمى المقدسات، وتقتل العملاء الخونة.

وفى سنة ١٣٥٠/ ١٩٣١ دعا الحاج أمين الحسينى زعماء العرب والمسلمين إلى عقد مؤتمر عام فى القدس للدفاع عن قضية فلسطين، فلُبيت دعوته وحضر زعماء وقادة وعلماء من الدول العربية ومن أفغانستان وإيران والهند والملايو ونيجيريا وغيرها، وانتخب الحاج أمين رئيسًا لذلك المؤتمر، وبهذا يكون الحاج محمد أمين الحسينى قد نقل القضية الفلسطينية من المحلية إلى العالمية، وواجه المؤتمر بعقبات عديدة من حُسّاد الداخل وجُهّال الخارج، لكن الحاج الحسينى تمكن من تذليل تلك العقبات، وعقد المؤتمر سبع عشرة جلسة فى عشرة أيام وتمخض عن قرارات مهمة، لكن رياح السياسة العالمية والإسلامية غير المواتية عطلت تلك القرارات.

- وأسس منظمة «الجوال المسلم» التى انتسب إليها أكثر من ألفين من الشباب، وكان منهم عُدة للشيخ بعد ذلك فى بعض الحوادث.

وقد ذكرت من قبل أنه أسس سنة ١٣٥٤/ ١٩٣٥ منظمة الجهاد المقدس، واختار الشهيد -إن شاء الله- عبدالقادر الحسينى قائدًا لها، وكانت تحت إشراف الحاج ورئاسته سراً، وكان لهذه المنظمة يد طولى فى الجهاد فى فلسطين إلى أن سقطت سنة ١٣٦٧/ ١٩٤٨.

وفى عام ١٣٥٥/١٩٣٦ حصل الإضراب العظيم فى فلسطين، فاجتمع ممثلو الأحزاب السياسية فى فلسطين وقرروا تأسيس «اللجنة العربية العليا» لفلسطين برئاسة الحاج أمين الحسينى، فاجتمع له بذلك القيادة الدينية والسياسية برئاسة هذه اللجنة ورئاسة المجلس الإسلامى الأعلى، وهذا لم يتيسر لعالم فى العصر الحديث، فيما أعلم، إلا لقلة قليلة جداً منهم عثمان بن فودى فى نيجيريا، والسنوسى فى ليبيا، وعبدالكريم الخطابى فى الريف المغربى.

وصار الحاج أمين بذلك رئيسًا للفلسطينيين بلا منازع.

وألّف الحاج أمين عدة لجان سرية لشراء السلاح من فلسطين وخارجها، وأقام مراكز للتدريب على السلاح وحرب العصابات على يد الضباط العرب المتقاعدين من الجيش العثمانى السابق.

وأصدر فتوى بعدم دفن من يبيع أرضه لليهود فى مقابر المسلمين، وأنه خارج عن الإسلام.

ورفضت اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الوعد بقرار التقسيم الصادر سنة ١٩٣٧ فرأى الإنجليز فى الحاج أكبر عقبة أمامهم.

ولما عَظُم نشاط الحاج أمين وظهرت نيته فى جهاد اليهود والإنجليز ضيق عليه الإنجليز، خاصة بعد اغتيال حاكم لواء الجليل آندروز بيد المجاهدين سنة ١٣٥٦/١٩٣٧، فأراد الإنجليز اعتقاله ففر إلى لبنان، وفى ذلك قالت جريدة «التايمز» الإنجليزية فى عددها الصادر فى ١٦/٧/١٩٣٧:

«إن المفتى هو العقبة الوحيدة أمام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود، فيجب على حكومة بريطانيا ألا تترك الساحة خالية لنشاطه، بل عليها أن تقيله من مناصبه وأن تبطش به وبالفريق المتصلب العنيد من المتطرفين».



وكان الشيخ -قبل تضييق السلطات البريطانية الخناق عليه وفراره إلى لبنان- يريد الجهاد، وقد كتب فى مذكراته شارحًا لهذا الأمر فقال:

«وقد كنت أبديت رغبتى لصفوة من قادة المجاهدين فى الخروج من القدس عام ١٩٣٧ إلى إحدى المناطق الجبلية المنيعة فى فلسطين للمشاركة الفعلية فى الجهاد؛ إذ كنت قد مارست الجندية عندما كنت ضابطًا فى الجيش العثمانى طول مدة الحرب العالمية الأولى، ولكن أولئك القادة -بعد دراسة عميقة للموضوع- عارضوا هذه الرغبة بقوة قائلين: إن وجودى فى أى منطقة من مناطق الثورة يجعلها هدفًا مركزًا للأعمال العسكرية البريطانية، ومهاجمتها بالطائرات والمدافع والمصفحات حتى يقضوا عليها».

وفى لبنان ضيَّق عليه الفرنسيون وحددوا إقامته فى بلدة سكانها نصارى وهى جونية ليحدوا من نشاطه، وكان ذلك قُبيل الحرب العالمية الثانية، وحاولوا اغتياله، وسجنوا عددًا من المجاهدين.

وبعد أن مكث سنتين فى لبنان فرّ إلى العراق فأسس فيه «حزب الأمة العربية» برئاسته وكان حزبًا سرياً انضم إليه رشيد عالى الكيلانى صاحب الثورة المشهورة سنة ١٣٦٠/ ١٩٤١ ضد الإنجليز فى العراق، وغيره من العسكريين وقد ساعده المفتى فى ثورته هذه وأمده بالرجال.

وطلب المفتى من السلطات العراقية تدريب الفلسطينيين الموجودين فى العراق تدريبًا عسكرياً فوافقته، وأصلح بين فريق نورى السعيد وفريق رشيد عالى الكيلانى فقد كان الأول يرى التعاون مع الإنجليز، بينما كان رشيد ثائرًا ضدهم، واستطاع أن يحسن العلاقات بين السعودية والعراق، وكل ذلك أثار عليه حقد الإنجليز وغضبهم، فحاولوا اعتقاله فهرب إلى إيران.



فلما احتلت روسيا وبريطانيا طهران استطاع الهرب إلى إيطاليا عبر تركيا، ومنها إلى بلغاريا، وقد وصلها من طهران فى اثنين وعشرين يومًا فى رحلة برية عسيرة، فلما وصل إلى بلغاريا اشتد حزنه لأنه شعر بالأمان من الإنجليز فى تلك الديار بينما كان مطاردًا فى بلاد الإسلام، وكان يردد فى سره: أين هى دار الإسلام؟

ثم سافر إلى ألمانيا فحلّ ضيفًا على الحكومة الألمانية، وحاول استمالة الألمان والطليان إلى مطالب الدول العربية والاعتراف باستقلال الواقع منها تحت الاحتلال البريطانى، وحاول مع الألمان أن يعملوا على القضاء على الوجود اليهودى فى فلسطين، وحصل من ألمانيا وإيطاليا على تعهد رسمى بذلك لكن كانت تلك مناورات سياسية من قبل ألمانيا لم تُعطِ مقابلها شيئًا حقيقيّاً للحاج أمين ومَن وراءه، والدليل على ذلك أنها رفضت طلبًا منه بإيقاف هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين.

قابل الحاج أمين هتلر فى سنة ١٠/ ١١/ ١٣٦٠-٢٨/ ١١/ ١٩٤١، وطلب منه المساعدة فى القضاء على الصهاينة، فأخبره هتلر أن هدفه هو القضاء على الشيوعيين واليهود، وأن هذا سيوئد المشروع الصهيونى، وطلب منه الاعتراف باستقلال البلاد العربية، لكن هتلر لم يفعل بحجة أن الوقت ليس مناسبًا لمثل هذا الإعلان.

والعجيب ما حكاه الدكتور فهمى الشناوى فى جريدة اللواء الأردنية بتاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٨٤ أن المفتى عرض على هتلر «أن يقوم بتجنيد جيش من متطوعى العرب فى الشمال الإفريقى يشعلون ثورة وطنية تمنع هبوط الخلفاء، فكان رد هتلر عجيبًا ومثيرًا حيث قال: لا، إننى لا أخشى

الشيوعية الدولية، ولا أخشى الإمبريالية الأمريكية البريطانية الصهيونية، ولكننى أخشى أكثر من كل هذا: الإسلام السياسى الدولى!!».

وهذا يبين بجلاء أن الكفر ملة واحدة.

وأنشأ فى ألمانيا إدارة سميت «مكتب المفتى» وكان لها نشاط جيد ضد اليهود والإنجليز، وأنشأ إذاعة، وصار يجند مسلمى أوربا وجنوب روسيا فى وحدات حربية مسلحة، وكون نواة جيش عربى، وأسس لذلك مدرستين حربيتين فى برلين، وأقام دورة فى هولندا لتدريب ستين من «المغاوير» دخلت الحرب فى فلسطين بعد ذلك.

ولما هزمت ألمانيا فى الحرب قبض عليه الفرنسيون وحددوا إقامته فى فرنسا، لكنه هرب إلى القاهرة التى استضافته رغم أنف الإنجليز الذين اعترضوا على قرار الحكومة المصرية، وكان قرار الاستضافة ناشئًا من ضغط من الإخوان المسلمين -وعلى رأسهم الإمام البنا- وغيرهم من القوى الإسلامية والوطنية.

وفى مصر ألف الحاج أمين «الهيئة العربية العليا لفلسطين» برئاسته، ونظم الحركة الوطنية الفلسطينية، وألف لجنة من قادة المجاهدين الفلسطينيين وغيرهم لإنقاذ فلسطين من قرار التقسيم الذى كان صدوره متوقعًا آنذاك، وأعاد تنظيم جيش الجهاد المقدس وأسند قيادته إلى الشهيد -بإذن الله- عبدالقادر الحسينى، وأنشأ منظمة الشباب الفلسطينى التى ضمت فرق الجوالة والكشافة والفتوة، وأسند قيادتها للصاغ محمود لبيب أحد الإخوان المسلمين المصريين المجاهدين، وكلفه بتدريب الشباب على القتال، وكان المفتى يهرب الأسلحة إلى داخل فلسطين، ويوجه المجاهدين ويمدهم بالمال والسلاح.



وساعده الإخوان فى مصر بالسلاح والمال والرجال، وكان الأستاذ البنا قد أرسل وفدًا إلى فلسطين سنة ١٣٥٤/ ١٩٣٥، فصِلَتُه -إذن- بالمفتى قديمة.

وفى سنة ١٣٦٧/١٩٤٨ بعد الهزيمة ضيق عليه فى مصر تحت ضغط الإنجليز لكنه تمكن من الخروج منها، وعقد الحاج أمين الحسينى فى غزة فى ١/ ١٢/ ١٩٤٨ مؤتمرًا فلسطينيًا كبيرًا سُمى «المجلس الوطنى الفلسطينى» انتخب الحاج فيه رئيسًا له، وأعلن هذا المؤتمر استقلال فلسطين ووضع دستورًا لها، وشكل لها وزارة دعيت بحكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد عبدالباقى، لكن المؤامرات على هذه الحكومة أرغمتها على الانتقال إلى مصر، ولم يكن المفتى يريد الانتقال إلى مصر التى ألحّت عليه كثيرًا لكنه كان يرفض فقام اللواء حسين سرى بنقله قسرًا فى قافلة عسكرية، فلما وصل إلى القاهرة وضع تحت رقابة شديدة ومُنع من العودة إلى فلسطين.

وحُرمت «الهيئة العربية العليا» من العمل والنشاط وأغلقت فى وجهها الصحف والإذاعات، ونقلت القضية الفلسطينية من يدها إلى يد الجامعة العربية.

ولما قامت ثورة يوليو استبشر بها المفتى، حيث إن بعض ضباطها ساعدوه فى أيام نكبة فلسطين فى تهريب الأسلحة، لكن هيهات للناصريين أن يستقيم أمرهم مع رجل إسلامى مجاهد كالحاج أمين الحسينى، فضيَّقوا عليه، ومنعوه من الاتصالات، وراقبوا كل من يزوره، وأخمدت قضية فلسطين وحولتها إلى قضية لاجئين إعلامية، فاضطر لمغادرة مصر سنة ١٣٧٨/ ١٩٥٩ إثر مؤامرات على «الهيئة العربية العليا» ورجالها وتشويه إعلامى لأعمالهم، وذلك عقب الإعلان عن قبول الجمهورية العربية المتحدة برئاسة عبدالناصر لمشروع أمين عام هيئة الأمم المتحدة هامر شولد القاضى



بتعويض الدول العربية التى فيها فلسطينيون وتصفية القضية الفلسطينية بما يسمى بالحل السلمى، ففرّ الحاج من القاهرة إلى بيروت حيث ساهم فى إفشال المشروع هنالك، فكان لا بد من إنشاء قيادة بديلة للشعب الفلسطينى تكون خاضعة لمصر وتوجهاتها، وتكون قابلة للاحتواء والتدجين، فاختارت الناصرية قيادة علمانية لفلسطين سنة ١٣٨٣/ ١٩٦٣-١٩٦٤، ونحّت عمداً الحاج محمد أمين الحسينى الذى لا يستقيم تصوره الإسلامى مع تُرّهات الناصريين آنذاك وتلاعبهم بمصير القضية الفلسطينية، وأُنشئت منظمة التحرير الفلسطينية التى حادت عن مسارها، وساهمت بقوة فى كل النكبات التى نزلت بفلسطين بعد ذلك، بسبب بعدها عن منهج الله تعالى وارتمائها فى أحضان الشرق ثم الغرب وتضييعها الجهاد.

وفى لبنان كان ينبه المسئولين العرب إلى الخطر الصهيونى، والمطامع اليهودية ليس فى فلسطين وحدها بل فى البلاد العربية المجاورة.

وفى بيروت أصيب بأزمة قلبية لما سمع بنكبة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧؛ إذ عَزّ عليه أن تُساق الجنود إلى هزيمة مذلة بدون تخطيط ولا تنسيق، وقد كتب الله له السلامة من هذا المرض فبقى على جهاده وحماسه حتى رأى انتصار رمضان سنة ١٣٩٣/ ١٩٧٣.

وأصدر فى بيروت مجلة «فلسطين» الشهرية.

وقبل وفاته بأشهر قليلة زار الرياض فتحدث عن قضية فلسطين ثلاث ساعات، وكان يبكى أثناء حديثه ويوصى الحاضرين ألا يصالح العرب اليهود مهما طالت مدة الاحتلال، وليس هناك حل إلا بالجهاد.

وقبل وفاته بقليل قال:

«كنت أتمنى لو مت قبل أن أسمع فلسطينياً يحمل السلاح ويسير فى درب الجهاد ثم ينخدع بفكرة الحلول السلمية».

وظل فى بيروت إلى وفاته، فلما مات قالت عنه بعض الصحف البريطانية: «مات عدو الصهيونية والإمبراطورية البريطانية».

ـ من مواقف الحاج محمد أمين الحسينى إضافة إلى ما سبق:

من مواقفه وهو طفل أن هرتزل رئيس الحركة الصهيونية العالمية أراد أن يؤسس مُغتصبة «مستوطنة» قرب قرية فالونيا، وهى التى كان يتعلم بها الحاج أمين فى طفولته، وغرس هرتزل شجرة لهذه المغتصبة فذهب الحاج وأصدقاؤه فقطعوا هذه الشجرة، وهذا منه فى طفولته دال على استعداد فطرى للمقاومة والجهاد.

ـ ومن مواقفه أنه جمع ٣٠٠٠ متطوع من القدس والخليل وسافر معهم إلى الأردن للانضمام إلى جيش فيصل بن الحسين الذى كان فى العقبة يتأهب للدخول إلى دمشق وإعلان الحكومة العربية فيها بعد زوال الحكم العثمانى عنها فى نهايات الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨، وكان الحاج أمين يحارب مع فيصل بن الحسين.

ـ وفى سنة ١٣٤٣/ ١٩٢٥ قامت مظاهرات فى سوريا ضد الفرنسيين فقابلوا هذا بالعنف -على عاداتهم فى الهَوَج والشدة- وضربوا دمشق بالمدفعية، ورموا عليها القنابل بالطائرات، فأرسل الحاج مئات البرقيات إلى زعماء العالم الإسلامى مبينًا صنيع الفرنسيين ومشتداً عليهم، وأسس «اللجنة المركزية الفلسطينية لإغاثة السوريين المتضررين»، وأوصل المساعدات من أنحاء



العالم إلى الثوار السوريين، وقال الأستاذ نويهض فى هذا: «رأيت وسط الثوار مسلمين مقاتلين من السنغال انضموا إلى إخوانهم بتشجيع من المفتى الحاج أمين الحسينى عندما كان فى مكة للمشاركة فى المؤتمر الإسلامى سنة ١٩٢٦».

- ومن مواقفه المضيئة أنه أثناء وجوده فى ألمانيا سمع بالمآسى التى حلّت بالبوسنويين عندما تآمر عليهم الصرب والكروات، فاتفق مع الألمان على تجنيد الشباب البوسنويين وتسليحهم للدفاع عن أنفسهم، واتفق مع الألمان على إنشاء معهد للأئمة ليرعى المتخرجون منه شئون العسكريين البوسنيين الذين بلغ عددهم مائة ألف مقاتل، وكذلك أنشأ معهداً آخر فى درسدن بألمانيا لتخريج الأئمة الأذربيجانيين وغيرهم من القوقاز، وبذلك استطاع بفضل الله عليه أن يحمى الوجود الإسلامى فى البلقان وشرق أوربا من المجازر المتوقعة فى الحرب العالمية الثانية.

وهذه المواقف الثلاثة السابقة توضح بجلاء أن الحاج أمين الحسينى لم يكن لفلسطين فقط بل كان أينما حَلّ مدافعًا عن قضايا المسلمين، عاملاً على إنقاذهم من أعدائهم، وهكذا ينبغى للزعيم السياسى المسلم أن يكون مهتماً بقضيته الكبرى ولا ينسى القضايا الإسلامية الأخرى.

- ومن مواقفه المهمة أنه اشترى الأراضى التى كانت مهددة بالتسرب إلى يد اليهود، اشتراها بوساطة المجلس الإسلامى الأعلى الذى كان يرأسه، وأرسل الوعاظ إلى الناس ليبينوا لهم حرمة بيع الأراضى لليهود أو لسماسرة اليهود وتكفير من يصنع ذلك، وعدم دفنه فى مدافن المسلمين، وحث الفلاحين على التمسك بأراضيهم، وهذا الموقف ساهم بقوة فى منع كثير من الفلسطينيين من بيع أراضيهم لليهود أو لسماسرة اليهود.



نقد لمسيرة الحاج أمين:

هناك بعض الانتقادات لمسيرة الحاج أمين السياسية، منها أنه لم يُعنَ بجوانب التربية الإسلامية لأتباعه كما ينبغى، وأنه لم يهتم بتنظيم أتباعه تنظيمًا قوياً قائمًا على أسس إسلامية صرفة، وأنه كان يولى النصارى اهتمامًا أكبر مما ينبغى لهم فقد كانت نسبتهم فى الحزب العربى الذى أسسه ٣١٪ بينما نسبتهم فى فلسطين لا تتجاوز ١١٪.

ومن الانتقادات أيضًا أن الإسلام لم يكن الركيزة الوحيدة للطرح والتصور عند الحاج أمين.

وغير ذلك من الانتقادات التى أوردها الأستاذ محمد الناصر فى كتابه «علماء الشام فى القرن العشرين» نقلاً عن الأستاذ محسن صالح وبيان الحوت، ثم دفع عنه الأستاذ محمد الناصر بعض ذلك بنقله عن أحد معاصرى الحاج أمين أنه كان يعتمد على الشيخ حسن البنا وجماعته ليسدوا ثغرة القضايا التربوية، وأنه تعاون مع البنا ومع قيادات إسلامية كثيرة فى العالم الإسلامى.

ودفع عنه الأستاذ محسن صالح بعض الانتقادات الأخرى بتقريره أن الحاج أمين كان زعيم الشعب بمختلف فئاته، فهذا هداه إلى أن يطرح فكره بمرونة تستوعب الاتجاهات الإسلامية والقومية والعلمانية، كما أن انشغاله منعه من التنظيم القوى لأتباعه.

وأرى والله -تعالى أعلم- أن الحاج أمين كان مسلمًا صحيح الإسلام، مجاهدًا، غيورًا على الإسلام والمسلمين، واعيًا، عالمًا بما ينبغى أن يقوم به،



فاقهًا لواقعه، لكنه أراد أن يستفيد من كل شخص مهما كان اتجاهه، ولا يعنى هذا أنه تنازل عن مبادئه لكنه ينبئ أن الشيخ لم يلتفت -كما ينبغى- لما التفت إليه غيره من إنشاء تنظيم إسلامى صلب متين يقى الله به فلسطين من عوادى الجاهلين الذين أقصوه بسهولة وأمسكوا بالقضية مفرطين، ضائعين ومضيعين.

وفاته:

توفى الحاج أمين الحسينى فى بيروت سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤، وقد بقى على حماسه إلى وفاته رحمه الله تعالى، فقد قال الأستاذ الفاضل عبدالله العقيل:

«زرته فى أواخر أيامه فى بيروت مع بعض الإخوة الكويتيين والسوريين والمصريين، فوجدت هذا الشيخ المهيب والكهل الوقور يتوقد حماسًا يفوق حماس الشباب، ويعرض الأمور ويحلل الأحداث بعين الناقد البصير والسياسى المحنك، الخبير المجرب، وكانت وصيته ألا نقطع الأمل، وأن نبقى على العهد فى مواصلة الجهاد».

ولما مات رفض اليهود السماح لجثمانه بالدخول إلى بيت المقدس ليدفن هناك حسب وصيته.

من الأقوال المثنية عليه:

- قال الشيخ أبو الحسن الندوى رحمه الله تعالى:

«رحمك الله يا مجاهد فلسطين، إن حادثة وفاة سماحة المفتى الأكبر حادثة عمت العالم الإسلامى كله وهزته، وقد فقد العالم الإسلامى فى شخصه أقدم زعيم وأكبر مجاهد وأعظم بطل من أبطال قضية المسجد الأقصى والقدس الشريف.



لقد خُتم بوفاته كتاب فى الجهاد والإخلاص للعقيدة والفكرة والوفاء للمبدأ والغاية، وانتهى به عهد يمتد على أكثر من ستين سنة لم يهدأ له فيه بال ولم يقرّ له قرار، ولم يضع فيه السلاح، ولم ينسحب فيه من ميدان الكفاح».

ولما قامت الحرب الأهلية فى لبنان بعد وفاة الحاج أمين بشهور هجم مجموعة من العملاء على دار المفتى واقتحموا مكتب «الهيئة العربية العليا» القريب من الدار، ودمروا كل شىء ثم أحرقوا الدار والمكتب!! ولم يكن فى الدار سوى بعض النساء، وكان فى المكتب بعض الموظفين، وقد هرب كل أولئك بعد أن شهدوا احتراق المكتب والدار واحتراق مئات الكتب النادرة والوثائق والمراسلات التى كانت فيهما، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفى النهاية أقول:

يكفى الحاج محمد أمين الحسينى شرفًا وفخرًا أنه ظل على الولاء لإسلامه وأمته إلى حين وفاته، وأسلم الروح غير مبدل ولا مغير، وسط ركام هائل من الأهواء والضلال العقدى والفكرى والتنازلات التى لا حصر لها، وأرجو أن يكتب الله له أجر جهاده ويلحقه بالصالحين فى عليين.

ـ وهناك ملحظ مهم أختم به، ألا وهو:

قد كان الحاج محمد أمين الحسينى ومن معه من أبطال فلسطين بدون سند حقيقى من الحكومات العربية والإسلامية، وكانوا يصارعون تيارًا أقوى منهم بكثير، تيار الصهيونية العالمية مدعومًا بالصليبية البريطانية وغيرها، ومع ذلك فقد عمل المجاهدون الأبطال كثيرًا من الأعمال المشرفة، ولولا الخيانات العربية والتخاذل الإسلامى لكان لهم شأن آخر، وإنما أقول ذلك



حتى تعلم حماس ومن معها اليوم من أبطال المجاهدين فى فلسطين أن التاريخ يعيد نفسه، وأنه ليس لهم سند حقيقى ولا ركن شديد يأوون إليه سوى الله -تعالى- فليحكموا أمرهم، وليتوكلوا على الله ربهم، وليقطعوا الأمل من كل ما سوى الله تعالى، وهو سبحانه ناصرهم إن شاء وممكنهم فى الأرض، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، والله أكبر(١).



(١) اختلفت الأقوال فى علاقة الحسينى بالقسام، فمِن قائل إن الذى بينهما كان فاسدًا وسيئًا، ومِن قائل إن الذى بينهما كان عامرًا وصالحًا إنما أظهرا الاختلاف فى العلن للتورية والتعمية وتنسيق المواقف، وقد أورد كل فريق حججه، لكنى لم أرَ من درس الأمر دراسة وافية وخرج برأى تسنده الأدلة والوثائق، فالله أعلم. فقد كان الحسينى شمسًا فى سماء فلسطين والقسام قمرها، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة.

[٨]

إمام أهل السنة

محمود عبد الوهاب فايد

[١٣٣٩/١٤١٨هـ] [١٩٢١/١٩٩٧م]





زمن الطغيان الناصرى، والاستكبار العاتى، والجبروت الشديد كان هناك علماء قلائل جداً استطاعوا الوقوف أمام الطاغية وقول كلمة الحق، ومن هؤلاء وربما على رأسهم الشيخ العالم العامل محمود عبدالوهاب فايد، رحمه الله تعالى.

ولد سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م فى قرية «دمينكة» وهى تتبع محافظة كفر الشيخ، وأسرته معروفة بالعلم والدين؛ فوالده معروف بالعلم والصلاح، وجده الشيخ مبروك كان عالمًا شرعياً، وأخوه الأكبر مأذون القرية ومعروف بتدينه وورعه، وأخوه الذى يلى الأكبر هو د.عبدالوهاب، وهو مدرس فى كلية أصول الدين بالجامع الأزهر، وابن عمه الشيخ محمد عبدالغنى كان واعظًا بالأزهر ومعروفًا بالصلاح، وغير هؤلاء مما يدل على صلاح الأسرة فى الجملة، وتعلق عدد من أفرادها بالعلم الشرعى.

حفَّظه والده القرآن العظيم، ثم ألحقه بمعهد دسوق الدينى الابتدائى التابع للأزهر، وحدثت له حادثة فيه ففصل ثم أعيد، وبعد فراغه من الدراسة فى المعهد قصد معهد طنطا الثانوى للدراسة فيه، وفصل وسجن بسبب حادثة عرضت له سيأتى ذكرها، إن شاء الله تعالى.

ومن لطائف ما جرى عليه أنه قال:

«صليت بالناس إمامًا فى مسجد كبير بالأرياف صلاة المغرب ولم أجهر بقراءة البسملة فى الفاتحة، وبعد الصلاة نادى أحدهم بالناس إن صلاتكم باطلة، وأمر بإعادتها، فأقيمت الصلاة وصلى الشيخ خلف هذا المنادى، وبعد الصلاة ذهب إليه وقال: أحب أن أعلم الخطأ الذى استوجب بطلان الصلاة فقال: لأنك لم تُبسمل أول الفاتحة!!



- من مواقفه المشرفة:

عقب الهزيمة المذلة سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧ طالب بمحاكمة الرئيس المصرى عبدالناصر، فعزله من مناصبه بقرار جمهورى، وحاول بعض العلماء التدخل لدى الرئيس فأجابهم بشرط أن يحضروا منه التماسًا بذلك، فذهب إليه الشيخ عبدالحليم محمود ليعرض عليه هذا الأمر فرفض الشيخ بإباء، وقال:

«أنا طالبت بمحاكمته ولم أطالب بإدانته، وفى المحكمة تنكشف الحقائق، ثم قال: عندما أُخبرت بقرار الفصل بالهاتف صليت ركعتين لله، ثم قلت: اللهم فارزقنى وأنا من اليوم عبد خالص لك، وقد استجاب الله لى وأراحنى من الذهاب والإياب، وأنا لدىَّ مكتبة عامرة بالكتب ورثتها عن آبائى وأجدادى واشتريت المزيد فأنا أعكف على المطالعة والتأليف، ويأتينى من الرزق أضعاف ما كنت أتقاضاه س الوظيفة، وأحمد الله على نعمه، إننى أقول وقد وسّع الله على، يالله: لقد أرادوا أن يذلونى فأعززتنى، لا أذل وأنا عبدك؛ عبدالعزيز، وأرادوا أن يضعفونى فقويتنى، لا أضعف وأنا عبدك؛ عبد القوى، وأرادوا أن يفقرونى فأغنيتنى، لا أفتقر وأنا عبدك؛ عبدالغنى».

وهذا موقف جليل منه فى زمن الطغيان.

- ومن المواقف المضيئة ما حدث حين أساء شيخ الأزهر عبدالرحمن تاج إلى منصبه وإلى الأزهر بممالأته للثوريين الناصريين وتقصيره فى شأن الأزهر والأزهريين بل الإسلام والمسلمين، فهاجم شيخ الأزهر على سكوته وكتب مقالاً شهيرًا سماه: «بسم الله والله أكبر فليستقل شيخ الأزهر»، ووجد المقال قبولاً كبيرًا ورضى لدى جمهرة الأزهريين، فنقل الشيخ محمود نقلاً تأديبًا من معهد منوف إلى معهد قنا، ثم أوقف راتبه وأحيل إلى مجلس تأديبى، وفى ذلك المجلس نجاه الله تعالى ونصره على من عاداه، وعاد إلى معهده.



وقد شجعه والده فى ذلك الموقف بقوله له لما استشاره:

«أنا لا يعنينى أن تُنقل إلى قنا أو تبقى هنا إنما يعنينى فقط أن تلزم جانب الحق فى كل ما تقول».

- ومن مواقفه ما حدث له أثناء الدراسة فى معهد طنطا الثانوى، فقد اعترض الطلاب على كتاب يدرس فى كلية الآداب فيه مساس برسول الله ﷺ، فثاروا وأضربوا عن الحضور إلى المعهد فبادر شيخ المعهد بفصل نفر منهم، فقام الشيخ محمود فايد بإلقاء قصيدة يعترض فيها على الفصل، فعوقب بالفصل والسجن!!

- ومن المواقف أنه كان قد تخرج فى كلية أصول الدين فى الأزهر سنة ١٣٧٦/١٩٤٦، وكان الأول على الطلاب، فدعى الطلاب الأوائل إلى حفلة يحضرها الملك فاروق ويصافح فيها الخريجين، وأُمر الجميع بالانحناء عند المصافحة لكن الشيخ أبى وصافحه وهو منتصب القامة مرفوع الرأس، وبسبب هذا الموقف صدر الأمر بتعيينه فى سوهاج بالصعيد خلافًا لما جرى عليه العرف من تعيين الأوائل فى القاهرة.

- ومن مواقفه العظيمة أن عبدالناصر استهزأ مرة بالعلماء وهوَّن من شأنهم، واتهمهم ببيع الفتاوى بالفراخ وأعلن ذلك فى إحدى الخطب، فما كان من الشيخ محمود فايد إلا أن كتب مقالاً فى مجلة الاعتصام عدد ربيع الأول سنة ١٣٨١/ ١٩٦١ فى أوج الطغيان والخوف قال فيه بعد كلام غمز فيه من جانب الجيش واتهمه بموالاة الملك السابق يوم كان الشيخ يحارب الفساد:

« . . . هل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم وبجميع اللغات ومن رئيس الجمهورية العربية نفسه مثل هذا الكلام؟!



لقد فاتك أن تعقب بأن كثيراً من ذوى العمائم كان لهم مواقف كريمة وغيرة مشكورة، وإحساس مرهف، وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل، ومن فضل الله أن شعبنا فاضل واعٍ ذكى أريب، يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.

وختاماً:

يكفى العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم ورفع قدرهم وخلد ذكرهم فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١]، ويكفيهم فى المدح والثناء قول أفضل البشر: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

وهذا الكلام خطير وصعب أن يواجه به زعيم طاغية ظالم مثل عبدالناصر، لكن الشيخ محمود فايد كان من طراز فريد من العلماء.

- ومن مواقفه المشرفة مقالان نشر أحدهما أيام فاروق والآخر أيام عبدالناصر، قال فى الأول يصف حال المسلمين:

«ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم، همهم أن تَسْلم لهم... يسالمون عداهم، ويذلون رعاياهم، يجمعون المال من دم الفلاحين وعرق الكادحين لينفقوه على ملذاتهم، ويبعثروه على شهواتهم، طوراً ينثرونه على موائد القمار ودور اللهو وكئوس الشراب، وحينًا يبذلونه فى مخاصرة النساء وسماع الغناء وما تتطلبه الليالى الحمراء، والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم أو يزجى النصح لهم فجزاؤه السجن وإن شئت فقل الإعدام».

وفى النص الآخر أيام عبدالناصر قال مخاطبًا له:

«يا سيادة الرئيس: هذه الأموال الباهظة التى تنفق فى غير موضعها، هذه



المكافآت السخية التى تصرف من مال الدولة على الممثلين والممثلات، والراقصين والراقصات، والمغنين والمغنيات.

قلت يا سيادة الرئيس إنك تريد أن تطهر المجتمع من عوامل الحقد والأنانية والفساد والبغضاء، ومقتضى هذا المنطق أن تُقلم أظافر أولئك المترفين».

- ومن مواقفه القوية أن فرقة راقصة من بلد شيوعى أرادت أن تقيم حفلاً فى ميدان الحسين!! فى رمضان سنة ١٣٨٧، فانتهز الشيخ محمود فرصة إقامة الجمعية حفلاً فى ذكرى غزوة بدر فتكلم قائلاً:

«أخزى الله هؤلاء السفهاء، لقد بلغ بهم السخف أن يحيوا رمضان بالمنكرات، وفى أى مكان؟ فى ميدان الحسين بين مسجده وبين إدارة الأزهر ومشيخة الطرق الصوفية، يالها من إهانة متعمدة توجه لعمّار هذه المؤسسات الإسلامية، يا لها من إهانة توجه إلى شهر القرآن».

وكان أحد المسئولين حاضرًا لذلك الحفل فأبلغ الخبر إلى حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فأصدر أمره بإلغاء الحفل، فكم نحن -اليوم- بحاجة إلى أمثال هؤلاء العلماء.

- ومن مواقفه المشرفة رده على الأديب أحمد حسن الزيات عندما كتب مقالاً افتتاحياً فى مجلة الأزهر الذى كان يرأس تحريرها، وكان فى المقال كُفر واضح ظاهر ألا وهو تفضيل الوحدة الناصرية على الوحدة المحمدية!! وثار الصالحون فى العالم الإسلامى ومنهم الأستاذ أبو الحسن الندوى، وثار الشيخ محمود فايد وكتب مقالاً شديدًا رد فيه على الزيات، نسأل الله العافية من الضلال.

- الجانب الذى تميز به الشيخ رحمه الله تعالى:

تميز الشيخ محمود فايد بميزة لم تكن لعالم فى زمانه فيما أعلم، والله



أعلم ألا وهى اطلاعــه الواسع على أحداث بلاده فى زمــانه، وفقــهه واقعَ قومه، وقد جعله هذا يســارع إلى الرد على المخالف أو المفسد، أو الضال، وذلك من خلال المنبــر الذى سخره الله لــه وهى مجلة «الاعتــصام»، وهى على أنها محــدودة الانتشار لكن كان لها من يتلقف مــقالاتها المهمة فيــعيد نشرها فى بعــض الصحف السيــارة الذائعة، وبعض تلك المقــالات نشر فى صحف المعارضة بعد توقيف مجلة «الاعتصام».

ولم يستثن الشيخ فى رده أحــدًا، فهو يرد على كل من يرى وجوب الرد عليه أو مناقشته، فقد رد على عبدالناصر فى أوج طغيانه، وعلى السادات، وعلى حسنى مبارك، ورد على بعض الوزراء والكبراء، وعلى بعض المشايخ الضعاف أو أصحاب المواقف المنحرفة أو المتخاذلة.

ولقد جُمعت هذه الردود والمناقشات فى كتاب ضخم اسمه صيحة الحق، وبعض هذه الردود والمناقــشات آتت أكلها وثمــارها فحصــل بها تغيــير ولله الحمد، إذن لم تكن كل تلك المقالات صرخة فى وادٍ، ومن أهم ما جاء فى الكتــاب من ردود ومناقشــات فى ظنى هو التالى، وأنصح الــقراء بقراءتــها لأنها تعد مثل الوثائق التى تبين الأوضاع فى أكــبر بلد عربى وإسلامى رمته سهام الأعداء من كل جانب:

١- ردوده على الرئيس المصرى أنور الــسادات فى عدة مقــالات، ومن أهم ما رد عليه فيه مقولة السادات الشهيرة: «لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين».

٢- مقال يدعو فيه لعدم ترخيص الحزب الشيوعى.

٣- مقــال فَنّد فيــه معــاهدة الصلح بين مصــر ودولة الصهــاينة، ورد على العلماء الذين أيدوها.

٤- عدة مقالات طالب فيها رؤساء مصر بتطبيق الشريعة الإسلامية وعدم التلكؤ فى هذا الأمر العظيم، ورد على بعض أعمالهم المنافية للإسلام، وكان يسمى ثورة يوليو بالثورة المشئومة، وقد شن حملة هائلة على عبدالناصر ووصف مخازيه وسيئاته على وجه مفصل.

٥- مجموعة مقالات يرد فيها على العلمانيين الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة، ويهمزون الشريعة ويلمزونها كعادتهم، ومِن أبرز تلك المقالات ردوده على أمينة السعيد ومحمد أحمد خلف الله وأمثالهما من المنحرفين والضالين.

٦- مناقشاته لكبار العلماء فيما رأى أنهم قد أخطأوا فيه، فلم يترك أحدًا منهم دون أن يرد عليه، فقد رد على عدد من شيوخ الأزهر، وكبار علماء عصره، ورد على المفتى محمد سيد طنطاوى فيما ذهب إليه من تحليل أنواع من الربا.

ومن أهم تلك الردود رده الرائع على شيخ الأزهر عبدالرحمن تاج، وقد ذكرت ذلك فى ثنايا ترجمته، وأنصح كل عالم وشيخ وطالب علم بقراءة هذا المقال الجليل الذى كان له آثار ضخمة فى مصر آنذاك.

ورد على د. محمد البهى الذى كان وزيرًا للأزهر، ولم يمنعه ذلك الرد القوى من الثناء عليه وبيان محاسنه، وهذا من إنصافه.

ميزات مقالاته:

كان لمقالات الشيخ محمود فايد مزايا مهمة، منها:

١- التوسع والإطناب فى العَرْض بما يقتضيه المقام فيوفيه حقه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يريد إيراده إلا ويوردها.



٢- مزَج كلامه بالآيات الجليلة والأحاديث الشريفة وكلام الفقهاء الضابطين، وهذا مما يُكسب مقالاته الهيبة والقوة.

٣- الشجاعة الظاهرة الواضحة فى الرد والنقاش، والقوة فى تقرير ما يريده، وبمعنى آخر إن مقالاته تخلو مما يُسمى بـ«المجاملة» التى جنت على كثير من الحقائق.

٤- المعاصرة لأحداث فى البلاد ووقائع العباد، فمقالاته تعالج القضايا فى وقتها وبالسرعة اللازمة للتأثير فى نفوس قارئيها.

٥- الشمول فى الردود فلا يترك حاكمًا أو محكومًا يرى أن يرد عليه إلا ويبادر للرد فلا يخص بمقالاته طائفة أو طبقة من الناس، وهذا مما يضفى على مقالاته أهمية وجودة.

-وظائفه ومناصبه:

- عين وكيلاً عاماً للجمعية الشرعية.

- عُين رئيسًا للجمعية الشرعية بمصر وذلك بعد وفاة الشيخ العالم عبداللطيف المشتهرى، وظل فى رئاستها منذ ١/٣/١٤١٦- ٢٨/٨/١٩٩٥إلى ٦/٢/١٤١٨ - ١١/٦/١٩٩٧، وذلك تاريخ وفاته رحمه الله تعالى.

وكان كل من يلى رئاسة الجمعية يلقب بإمام أهل السنة، وكان ذلك الوصف -فى ظنى- منطبقًا على الشيخ محمود فايد إلى درجة كبيرة من الانطباق، وذلك أن من أعظم خصائص أئمة السنة فى كل زمان ومكان هو قول الحق وعدم خشية أحد فيه، وأحسب أن الشيخ كان من هؤلاء، والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدًا.



ـ وقد عُين أيضًا رائدًا دينياً لمدينة البعوث فى الأزهر، وكان مؤثرًا على الطلبة الوافدين إلى الأزهر، لكن الشيخ عُزل عنها، إذ لم يحتمل الطغاة له ذلك.

ـ وعين أستاذًا فى التفسير فى كلية الدعوة وأصول الدين، وكلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة النبوية.

- عضو لجنة السنة بمجمع البحوث.

مؤلفاته:

للشيخ -رحمه الله تعالى- عدد من المصنفات منها:

كتاب «المنطق الواضح» فى علم المنطق، فى جزأين.

«التربية فى كتاب الله».

«الإسلام والصحة».

«الإسلام وأثره فى نهضة الشعوب».

«الرسالة المحمدية وشواهدها» ويعده أهم مؤلف له.

«صيحة الحق».

وحقق مجموعة من كتب التراث.

وللشيخ شعر منشور فى بعض الكتب والمقالات، ولا بأس به.

وفاته:

توفى الشيخ رحمه الله تعالى سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ودفن فى مصر، رحمه الله تعالى وغفر لنا وله.



ملحوظة:

أرسل لى الأخ على حمدون أحمد رسالة على بريدى الإلكترونى يذكر فيها أن للشيخ مأثرتين جليلتين، أولهما أنه حقق كتاب «تهذيب الكمال فى أسماء الرجال» للحافظ المزى، ولم يذكر أنه نُشر، والأخرى أنه أهدى مكتبته القيمة قُبيل وفاته إلى مكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية فى فرع جامعة الأزهر بدسوق، فجزاه الله خيراً.





الفهرس

الموضوع **الصفحة**

دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان - تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ / ٠١٥
مكتب القاهرة - ت: ٠٢٢٤٠٣٨١٣٧ - فاكس : ٠٢٢٤٠١٧٠٥٣